كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية
---

# الإجراءات الوقائية لمواجهة الكوارث الطبيعية في بلاد الشام في العصر المملوكي
## ( ٦٥٨ – ٩٢٣هـ / ١٢٦٠ – ١٥١٧م )

إعداد

د/ حسن فرحان عبد الساتر عطية

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بأسيوط

( العدد الأربعون )
( الإصدار الأول ـ الجزء الثالث)
( ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م )

# الإجراءات الوقائية لمواجهة الكوارث الطبيعية في بلاد الشام في العصر المملوكي ( ٦٥٨ – ٩٢٣هـ / ١٢٦٠ – ١٥١٧م )

حسن فرحان عبد الساتر عطية
قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، أسيوط، مصر.
البريد الإلكتروني: Hassanattia.47@Azhar.edu.eg

**الملخص:**

لقد انتشرت الكوارث الطبيعية في بلاد الشام في العصر المملوكي، وتنوعت ما بين زلازل، وسيول، وفيضانات، وتساقط الأمطار، والثلوج، وهجمات أسراب الجراد، بالإضافة إلى تفشي الأوبئة والطواعين. وقد قامت السلطة المملوكية بالعديد من الإجراءات الوقائية لمواجهة الكوارث الطبيعية . وتمثلت هذه الإجراءات في توفير المواد الغذائية الضرورية، ونشر التوعية الصحية، والعمل علي الحد من انتشار الأوبئة، وإنشاء البيمارستانات، ومنع الاحتكار، وتسعير المواد الغذائية، وإبطال المكوس والضرائب، وتعويض المتضررين من الكوارث، وإغلاق الأسواق حفاظاً على أرواح الناس، وإطلاق سراح المساجين، وإعمار وترميم ما هدمته الكوارث، وحفظ الأمن، وإبطال المفاسد الاجتماعية، وتعطيل الاحتفالات والمناسبات الدينية والاجتماعية. وهذه الدراسة تلقي الضوء علي حرص السلطة المملوكية في بلاد الشام علي مساعدة المتضررين من جراء الكوارث، والحد من آثارها عليهم، وإبراز الإجراءات الوقائية لتفادي وقوع هذه الكوارث، أو التخفيف من آثارها .

**كلمات مفتاحية:**

إجراءات، الوقائية، الكوارث، المواد الغذائية، الصحية، الاجتماعية، بلاد الشام، المماليك .

# "Protection procedures taken against natural disasters in the Levant during the Mamluk era" (1517-1260 / 923-658 hijri)

**Hassan Farhan Abdul Sater Attia**
**Department of History and Civilization, Faculty of Arabic Language, Assiut , Al-Azhar University , Egypt.**
**E-mail :** Hassanattia.47@Azhar.edu.eg

## Abstract:

**Natural disasters had spread during the Mamluk era in the Levant. It varied to be earthquakes, torrents, floods, heavy rain, snowing, and swarms of locust's raids, epidemics, and different kinds of plague. The Mamluk authority had taken many preservative procedures to face such natural calamities. These steps were shown through the availability of the necessary food substances, health awareness spreading out, restricting the diffusion of epidemics, building hospitals, forbidding monopoly, pricing food commodities, cancelling customs and taxes, and compensating the disaster victims. They government also closed market places for saving people's lives from the disease, liberated prisoners, constructed and restored what's destroyed by the catastrophes, kept peace, annihilated social improper acts, and banned all of the celebrations and the religious social occasions. This study sheds a light on the Mamluk authority's great attention paid to the injured of these disasters, restriction of its effects on them, and the domination of the protective procedures to avoid such cataclysms or giving relief of its consequences.**

**Keywords: Procedures, Preservative, Disasters, Food substances, Healthy, Social, The Levant, The Mamluks.**

# مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين ... وبعد .

فلقد شهدت منطقة بلاد الشام في عصر دولة المماليك حدوث أنواع مختلفة من الكوارث الطبيعية كالزلازل،والسيول،والفيضانات،وتساقط الأمطار، والثلوج، والرياح ، والأعاصير ، والصواعق ، وهجمات أسراب الجراد ؛ بالإضافة إلي تفشي الأوبئة والطواعين ، وتسببت هذه الكوارث في القضاء علي أعداد كبيرة من السكان ، وعانى من بقي منهم علي قيد الحياة من آثارها الاقتصادية ، كما تسببت الكوارث في تدمير وتخريب الكثير من المنشآت العمرانية .

وإذا كان الإنسان لا يستطيع منع الكوارث الطبيعية، إلا أنه يمكن التخفيف من مخاطرها وآثارها. ولا تسمي هذه الدراسة إلي حصر ورصد كافة الكوارث الطبيعية ، بقدر ما تحاول بيان حرص السلطة المملوكية في بلاد الشام علي مساعدة المتضررين من جراء الكوارث ، والحد من آثارها عليهم ، وإبراز الإجراءات الوقائية لتفادي وقوع هذه الكوارث ، أو التخفيف من آثارها .

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة في إلقاء الضوء علي جانب مهم يتعلق بالإجراءات التي تم اتخاذها قبل وأثناء وبعد حصول الكوارث ، وبالتنسيق والتعاون المشترك علي كافة المستويات ، ابتداءً من قيادات السلطة الحاكمة ووصولاً إلي العامة في بلا الشام ، فجاءت هذه الدراسة بعنوان " الإجراءات الوقائية لمواجهة الكوارث الطبيعية في بلاد الشام في العصر المملوكي ٦٥٨ – ٩٢٣هـ / ١٢٦٠ – ١٥١٧م " ، وقد تناولت هذه الدراسة الموضوعات الآتية :

**أولاً** : تعريف الإجراءات الوقائية والكوارث الطبيعية ، وأنواعها.

**ثانياً** : إجراءات توفير المواد الغذائية الضرورية : وتشمل إجراءات مواجهة

الكوارث التي تتسبب في نقص الإنتاج الزراعي مثل : مكافحة الآفات الزراعية ، وحلّ مشاكل المياه ، وتخزين المواد الغذائية للاستفادة منها عند الحاجة ، واستيراد المواد الغذائية من الخارج .

**ثالثاً** : الإجراءات الصحية : تناولت فيها نشر التوعية الصحية ، والعمل علي الحد من انتشار الأوبئة ، وإنشاء البيمارستانات لرعاية المرضى والمصابين وتوفير الأدوية للمرضى ، وإنشاء مغاسل للموتى .

**رابعاً** : الإجراءات القانونية : وتمثلت في منع الاحتكار ، وتسعير المواد الغذائية، وإبطال المكوس والضرائب ، وتعويض المتضررين من الكوارث ، وإغلاق الأسواق حفاظاً على أرواح الناس ، وإطلاق سراح المساجين .

**خامساً** : هروب السكان إلى المناطق الآمنة .

**سادساً** : إزالة آثار الكوارث الطبيعية : وتشمل إزالة المخلفات الضارة ، وإعمار وترميم ما هدمته الكوارث الطبيعية .

**سابعاً** : الإجراءات الاجتماعية : تناولت فيها معالجة الظواهر السيئة وحفظ الأمن، وإبطال المفاسد الاجتماعية ، وتوقف الاحتفالات والمناسبات الدينية والاجتماعية ، وغيرها من الإجراءات التي لجأ إليها الناس في أوقات الكوارث.

**ثامناً** : الإجراءات الدينية : وتتمثل في العودة إلى الله – سبحانه وتعالى – والتقرب إليه بالدعاء والاستغفار ، والصلاة ، والصيام .

ثم ذكرت في نهاية هذا البحث خاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة . وقد اعتمدت علي العديد من المصادر الأصيلة ، والمراجع العربية ، والمترجمة التي أثبتها في نهاية البحث.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

## أولاً : تعريف الإجراءات الوقائية والكوارث الطبيعية وأنواعها :

الإجراءات : مفردها إجراء من جرى الشيء يجري جرياً فهو جارٍ ، وأجراه غيره يجريه إجراء [١] . والإجراء : تدبير أو خطوة تتخذ لأمرٍ ما ، ومنها الإجراءات الاحتياطية أو التحفظية ، وهي : تدبير وقائي أو إجراء وقائي [٢] .

والوقائية : من وقِى أي وقاه يقيه وَقْيا بالفتح ، ووِقاية بالكسر ، وواقية على فاعلة صانه وستره على الأذى وحماه وحفظه فهو واقٍ [٣] . والوقاية ما يتوقى به الشيء ، ومنها الوقاية من الحوادث ، والوقاية من بعض الأمراض ، والوقاية في الطب هي : جميع الوسائل التي تتخذ لاتقاء الأمراض كالتطهير ، والتلقيح ، والعزل، وهي الوقاية الصحية [٤] .

## الكوارث الطبيعية :

كرث : كَرَثَه الأمر يَكْرُثه كَرْثاً ، وأَكْرَثه : ساءه واشتد عليه ، وبلغ منه المشقة [٥] ، والكارثة مفرد كوارث ، وهي المصيبة العظيمة والخراب الواسع [٦].

---

(١) الأزدي : جمهرة اللغة العربية ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ١ / ٤٦٩ .

(٢) أحمد مختار عبد الحميد : معجم اللغة العربية المعاصرة ، ط١ ، عالم الكتب ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م ، ١ / ٣٦٧ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، ط٣ ، دار صادر بيروت ، ١٤١٤هـ ، ٥ / ٤٠١ ؛ مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، القاهرة ، ( د . ت ) ، ٢ / ١٠٥٢ .

(٤) أحمد مختار : مرجع سابق ، ٣ / ٢٤٨٦ ، ٢٤٨٧ .

(٥) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ٤ / ١٦١ ؛ ابن منظور : مصدر سابق ، ٢ / ١٨٠ .

(٦) أحمد مختار : مرجع سابق ، ٣ / ١٩١٨ .

والكوارث الطبيعية هي : الكوارث التي تتحكم فيها المشيئة الإلهية ، وليس للإنسان دخل فيها ، ولكن قد يتسبب الإنسان في زيادة حجم الخسائر المترتبة على وقوعها بالإهمال ، وعدم اتخاذ الاحتياطات اللازمة لتفادي تلك الآثار الضارة أو التخفيف منها ، لذلك عرفت الكوارث الطبيعية بأنها : حدث غير متوقع له تأثير واسع وفجائي للبيئة الطبيعية على الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية [١] ، لأنه يؤدي إلى خسائر في الأرواح ، والممتلكات [٢] .

## أنواع الكوارث الطبيعية :

تنوعت الكوارث الطبيعية التي حدثت في بلاد الشام خلال العصر المملوكي، ويمكن تقسيمها إلى : كوارث مناخية مثل : السيول ، والفيضانات ، والبرد ، والصقيع ، والثلوج ، والعواصف ، والأعاصير ، والصواعق ، والجفاف والقحط ، وما يتبعها من مجاعات . وكوارث جيولوجية : مثل الزلازل . وكوارث بيولوجية مثل الأوبئة والأمراض المعدية ، والآفات الزراعية [٣] .

وقد وضع العلماء تعريفات وتفسيرات للكوارث الطبيعية المختلفة ، أهمها :

### أ- الكوارث المناخية :

١ – السيول : ظاهرة طبيعية تحدث عندما يكثر هطول الأمطار ، ولا تستطع التربة استيعاب الماء ، فيتحرك الماء إلى المناطق المنخفضة ويكتسح في طريقه

(١) محمد صبري محسوب ، محمد إبراهيم أرباب : الأخطار والكوارث الطبيعية الحدث والمواجهة معالجة جغرافية ، ط١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ص٣٧ .

(٢) عصام محمد إبراهيم : الكوارث ( المفهوم – التصنيف – الخصائص – الأسباب ) طريق الجيزة – الفيوم الصحراوي دراسة تطبيقية ، بحث منشور في مؤتمر " إدارة الأزمات والكوارث البيئية في ظل المتغيرات والمستجدات العالمية العصرية ، كلية التجارة ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ٢٠٠٥م ، ص٦٠ .

(٣) عصام محمد إبراهيم : نفسه ، ص٦١ ؛ محمد محسوب : مرجع سابق، ص٤٣ ، ٤٤.

كل ما يعترضه ، ويسبب خسائر في الأرواح ، والممتلكات [١] .

وقد ذكر الله – سبحانه وتعالى – السيل كعقوبة أرسلت على أقوام من الأمم السابقة لتكذيبهم للرسل ، وكفرهم بالله ، قال . تعالى . عن قوم سبأ : ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾[٢] وهو الماء الغزير الذي خَرَّب الأبنية والأشجار وغير ذلك [٣] .

٢– الفيضانات : تحدث الفيضانات كظاهرة طبيعية عندما يزيد منسوب المياه في أي نهر ليفوق مستوى ضفافه فيطغى عليها ، وكلما زادت سرعة جريان الماء من المنبع إلى مجرى النهر زاد الفيضان [٤] . وقال . تعالى . في حق قوم نوح ( عليه السلام ) : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ [٥] أي زاد الماء وارتفع عن الحد ، فأهلكهم الله – سبحانه وتعالى – بالطوفان استجابة لدعوة نبيه نوح ( عليه السلام ) [٦].

٣– البرد والصقيع والثلوج : البرد هو تجمد لقطرات ماء المطر في السحابة ،

(١) محمد محسوب : الأخطار والكوارث ، ص٩٤ .

(٢) سورة : سبأ ، من الآية [ ١٦ ] .

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، ط٢ ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ٦ / ٥٠١ .

(٤) صلاح محمد عبد الحميد : سلسلة الكوارث الطبيعية ، ط١ ، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع القاهرة ، ٢٠٠٨م ، ص٢٤ .

(٥) سورة : الحاقة ، آية [ ١١ ] .

(٦) ابن كثير : مصدر سابق ، ٨ / ٢١٠ .

ويكثر في الربيع والخريف دون الشتاء [١] ، ويحدث نتيجة لتكاثف بخار الماء في السحب على شكل قطرات صغيرة من الماء ، ولا تلبث أن تتجمد على شكل كرات من الثلج بسبب شدة البرودة [٢].

أما الصقيع فهو تحول بخار الماء من الحالة الغازية إلى الحالة الصلبة دون أن يمر بحالة السيولة ، ويحدث عندما يتكثف بخار الماء على الأجسام الصلبة أو أسطح أوراق النباتات المعرضة للجو في درجة حرارة أقل من نقطة التجمد ، ويكون على شكل بلورات من الثلج ، وللصقيع آثار ضارة بالنباتات والأشجار[٣] .

وأما الثلوج فتشكل بسبب تصاعد بخار الماء من الأرض إلى الهواء ، فيصيبه برد شديد قبل تحوله إلى قطرات ماء ، فيتساقط على الأرض [٤] في شكل بلورات رقيقة تشبه زغب الريش الأبيض [٥] .

٤- العواصف والأعاصير : تشكل العواصف والأعاصير أشد حالات الجو اضطراباً وعنفاً ، وقد يتسبب عنها إذا استمرت طويلاً الخراب والدمار ، وهي مرتبطة بحركة سرعة الرياح والتي تحمل معها عادة إما المطر أو الثلوج أو الرمال ، وهي

---

(١) ابن سينا : المعادن والآثار العلوية ، تحقيق : عبد الحليم منتصر ، سعيد زايد ، عبد الله إسماعيل ، إبراهيم مدكور ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م ، ص٣٦ – ٣٨ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ٢ / ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٢) جودة حسنين جودة ، فتحي محمد أبو عيانة : قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية ، دار المعرفة الجامعية ، ( د . ت ) ، ص٢٨٣ .

(٣) جودة حسنين : نفسه ، ص٢٨٠ .

(٤) ابن سينا : المعادن ، ص٣٦ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ٢ / ١٩٢ .

(٥) جودة حسنين : مرجع سابق ، ص٢٨٣ .

رياح دوارة حلزونية عنيفة [١] .

وقد أطلق علماء المسلمين على هذه الظاهرة اسم التنين ، ووصفوها بأنها ريح سوداء تكون في قعر البحر ، ثم تندفع إلى فوق وتحلق فوق السحاب كالزوبعة ، وترى كأن تنيناً يطير في الجو ، وتكون شديدة ، وقوية لدرجة أنها تقتلع الأشجار ، وتختطف المراكب من البحر [٢] .

وقد ورد ذكر العواصف والأعاصير في القرآن الكريم كنوع من العذاب قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [٣] أي باردة شديدة البرد ، شديدة الهبوب جداً [٤] ، وقال ـ أيضاً ـ : ( فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ) [٥] والإعصار والإعصار هو الريح الشديدة [٦] .

٥- الصواعق : هي ريح سحابية مشتعلة ، ليست بلطيفة لطف البرق ، وتكون ريحاً سحابية لطيفة أو لافحة ، وأحياناً تكون ريحاً سحابية زوبعية مشتعلة[٧] ، وعرَّفها "المرزوقي"[٨] بأنها : " نار تسقط من السماء في رعد شديد "

---

(١) صلاح محمد عبد الحميد : سلسلة الكوارث الطبيعية ، ص٢٨ ، ٢٩ ، ٤٨ ، ١١٠ ؛ محمد محسوب : الأخطار والكوارث ، ص٨٨ ، ٨٩ .

(٢) ابن سينا : المعادن ، ص٦٠ ، ٦١

(٣) سورة : الحاقة ، آية [٦ ] .

(٤) ابن كثير : تفسير القرآن ، ٦ / ٢٧٨ .

(٥) سورة : البقرة ، من الآية [ ٢٦٦ ] .

(٦) ابن كثير : مصدر سابق ، ١ / ٦٩٦ .

(٧) ابن سينا : مصدر سابق ، ص٧٠ ، ٧١ .

(٨) كتاب الأزمة والأمكنة ، ضبطه : خليل المنصور ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان لبنان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ص٣٣٧ .

" وهي نوع من العذاب قال تعالى : ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ (١) ، وأخبر الرسول ( ﷺ ) : " أن الصواعق من علامات الساعة حيث قال : " تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة ، حتى يأتي الرجل القوم فيقول : من صعق منكم الغداة ؟ فيقولون : صعق فلان وفلان " (٢) .

٦- الجفاف والقحط : هو نقص حاد أو انعدام المطر لمدة زمنية معينة ، أو قلة الأمطار، وارتفاع المدى الحراري السنوي واليومي ، مما يؤدي إلى تعرض المناطق التي يحل بها لكوارث بيئية حادة ، تتمثل في نقص شديد في المحاصيل الزراعية ، وتدمير للأحياء النباتية ، والحيوانية ، وهجرات جماعية لسكان المناطق المنكوبة بالجفاف والقحط إلى مناطق تتوفر بها موارد المياه (٣) .

وقد ذكر علماء السلف من الصحابة أن القحط والجفاف عقاب من الله للعصاة ، فعن عمر بن الخطاب ( ﷺ ) قال لأهل المدينة : " إن قحوط المطر من قضاة السوء ، وأئمة الجور " (٤) ، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : " وما منع قوم الزكاة إلا منعهم الله القطر من السماء ... " (٥) .

---

(١) سورة : الرعد ، من الآية [ ١٣ ] .

(٢) ابن حنبل : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وآخرون ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م ، ١٨ / ١٦٣ .

(٣) عبد العزيز طريح شرف : الجغرافيا المناخية والنباتية ، دار المعرفة الجامعية ، ( د . ت ) ، ، ص٢٨٥ ؛ محمد محسوب : الأخطار والكوارث . ص١٠٨ ، ١١٢ .

(٤) ابن أبي الدنيا : العقوبات الإلهية للأفراد والجماعات والأمم ، تحقيق : محمد خير رمضان يوسف ، ط١ ، دار الصميعي ، الرياض ، دار ابن حزم ، بيروت ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ص٢٢٤ .

(٥) ابن أبي الدنيا : نفسه ، ص٣٩ ، ٤٠ .

والكوارث المناخية من أهم أسباب حدوث المجاعات ، فيذكر "المقريزي" أن أسباب المجاعات مرتبط بأحوال الجو وتقلباته ؛ فالقحط الذي يحدث لقلة نزول الأمطار أهم هذه الأسباب ، ومنها الآفات التي تصيب الغلال بسبب الرياح الحارة والجافة ، ويفسر هذه الأمور بأنها: " عقاب من الله لعباده عند مخالفتهم أوامره وإتيانهم محارمه " (١) .

**ب- الكوارث الجيولوجية** :

من أخطر الكوارث الجيولوجية التي حدثت في بلاد الشام في العصر المملوكي الزلازل، وعرف "ابن سينا" الزلزلة بأنها (٢): " تعرض جزء من الأرض للحركة نتيجة لما تحته ، ويكون سبب الحركة بخار ريحي أو ناري قوي وشديد يتحرك فيقوم بتحريك الأرض " .

وعن تعريف الزلازل كظاهرة جغرافية فهي : عبارة عن حركات واهتزازات تموجية ناتجة عن التخلعات التي تصيب القشرة الأرضية (٣) .

والزلزلة نوع من عقاب الله لعباده العصاة ، والكافرين ، وقد وردت في القرآن كثيراً وسميت سورة من سور القرآن باسم " الزلزلة " ، وقد وردت الزلزلة بمعني الرجفة في أكثر من موطن في القرآن الكريم ، منها قوله ـ تعالى ـ حكاية عن قوم شعيب ( عليه السلام ) : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (٤) ، وقوله ـ تعالى ـ حكاية عن قوم صالح ( عليه السلام ) : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ

(١) إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق : أكرم حلمي فرحات ، ط١ ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م ، ص١١٦ .

(٢) المعادن والآثار العلوية ، ص١٥ ، ١٦ .

(٣) يوسف الأنصاري : الجغرافية الطبيعية ، القاهرة ، ١٩٥٨م ، ١ / ١١٥ ، ١١٦ .

(٤) سورة : العنكبوت ، آية [ ٣٧ ] .

جَاثِمِينَ ﴾ (١) ، وقوله ـ تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴾ (٢) ، قال "مجاهد" الراجفة هي الزلزلة (٣) .

وقد أخبر النبي ( ﷺ ) أن الزلازل من علامات الساعة حيث قال : " لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ، ويتقارب الزمان ، وتكثر الزلازل ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج " (٤) .

لذلك تعتبر الزلازل من أخطر الكوارث الطبيعية على البشرية ، وذلك بسبب ما تحدثه من الخسائر في الأرواح والممتلكات ، ومما يزيد من خطورتها عنصر المفاجأة ، بحيث لا يستطيع الإنسان اتخاذ اللازم حيال وقوعها (٥) .

**ج - الكوارث البيولوجية** :

**١- الأوبئة والطواعين** :

تنتشر الأمراض التي تسببها الفيروسات ، والبكتريا ، والطفيليات في كل أنحاء العالم وبدرجات مختلفة ، وحين يبدأ المرض في الانتشار خارج حدوده الزمنية والمكانية المعتادة فإنه يتحول إلى وباء ، وفي هذه الحالة يصبح الوباء كارثة ، ولا توجد حدود فاصلة بين المرض ، والوباء ، فالمرض يمثل المخاطر وخاصة إذا كان معدياً ، والوباء هو الكارثة (٦) .

---

(١) سورة : الأعراف ، آية [ ٧٨ ] .

(٢) سورة : النازعات ، آية [ ٦ ] .

(٣) تفسير مجاهد ، تحقيق : محمد عبد السلام أبو النيل ، ط١ ، دار الفكر الإسلامي الحديثة ، مصر ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م ، ص٧٠٢ .

(٤) ابن حنبل :المسند ، ١٦ / ٥٠٢ .

(٥) محمد محسوب : الأخطار والكوارث الطبيعية ، ص٥١ .

(٦) محمد محسوب : نفسه ، ص١٩٥ .

ويرجح " ابن خلدون " سبب حدوث الوباء إلى : " فساد الهواء بسبب كثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن ، والرطوبات الفاسدة ، وإذا كان فساد الهواء قوياً تسبب في فساد الرئة ، وعرف المرض بالطاعون ، وإذا كان فساد الهواء أقل تسبب في مرض الحميات فتمرض الأبدان وتهلك " (١) .

وأخطر الأوبئة " الطاعون " وهو : مرض وبائي ومعد ينتقل إلى الإنسان عن طريق الحيوانات القارضة ، ويصيب الغدد الليمفاوية ، وخاصة غدد الفخذ ، وتحت الإبط ، والأذن (٢)

ويصف المؤرخون " الطاعون " بأنه مرض معروف وهو: عبارة عن قروح تخرج في الجسد مع لهيب ، ويسود ما حوله أو يخضره أو يحمره حمرة بنفسجية ، وهذه القروح تصيب الأيدي أو الأصابع أو الآباط أو المرافق (٣) ، وتنشأ القروح عن طريق هيجان الدم أو انصباب الدم إلى عضو فيفسده (٤) .

ومن أعراض هذا المرض الإعياء الشديد وخفقان بالقلب ، وحدوث القيء ، ونزيف بالجلد (٥) . ويعتبر سوء التغذية ، وانعدام التوازن ما بين السكريات ،

---

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تحقيق : خليل شحادة ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ٣٧٦/١ .

(٢) منال أحمد إبراهيم أبو زيتون : المجاعات في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، ١٩٩٨م ، ص٢٨ .

(٣) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٢هـ،١ / ١٠٥ .

(٤) ابن حجر : بذل الطاعون في فضل الطاعون ، تحقيق : أبو إبراهيم كيلاني محمد خليفة ، ط١ ، دار دار الكتب الأثرية ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص٤٧ .

(٥) النووي : مصدر سابق ، ١ / ١٠٥ ؛ إيمان مصطفي عبد العظيم : غياب دور رجال الحكم والرعية في مواجهة أزمات وباء الطاعون في مصر زمن سلاطين المماليك – دراسة تحليلية – ، مجلة البحث العلمي في الآداب ( العلوم الإنسانية والاجتماعية ) كلية البنات ، جامعة عين شمس ، الجزء (٨) ، العدد (٢١ ) ، ٢٠٢٠م ، ص٤ ، ٥ .

والبروتينات وخاصة عند الطبقات الفقيرة عاملاً مساعداً في ظهور الطاعون [١] .

وبيَّن رسول الله ( ﷺ ) أن الطاعون بالنسبة للمؤمنين شهادة ورحمة لهم ، وأنه لغيرهم رجس ، وغضب ، وعذاب ، فقد روي عن رسول الله ( ﷺ ) أنه قال: " أتاني جبريل ( عليه السلام ) بالحُمَّى والطاعون فأمسكت الحُمَّى بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام ؛ فالطاعون شهادة لأمتي ، ورحمة ، ورجس على الكافر"[٢] .

وعن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله ( ﷺ ) : " الطاعون رجز أو عذاب أرسل على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه " [٣] .

**٢- الآفات الزراعية** :

يعد الجراد من أخطر الآفات الزراعية ؛ لأنه يمتاز بالقدرة على الطيران لمسافات بعيدة في أسراب ضخمة مع سرعة انتقاله وتحركه من مكان إلي آخر ، إلى جانب شراهته في الأكل وقدرته على التفريق بين النباتات الصالحة للأكل والنبات السامة ، ويتميز كذلك بسرعة تكاثره في ظروف طبيعية متباينة ، ولا توجد حشرة أخرى تماثله في درجة الخسائر الاقتصادية التي التي تصل إلى حد الكارثة[٤].

وقد ورد ذكر الجراد في القرآن الكريم كعقوبة لقوم فرعون قال . تعالى-

---

(١) آشتور . إلياهو : التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى ، ترجمة : عبد الهادي عبلة ، دار ابن قتيبة ، دمشق ، ١٩٨٥م ، ص٣ ، ٤ .

(٢) ابن حنبل : المسند ، ٣٤ / ٣٦٦ .

(٣) مسلم : المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ( ﷺ ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ( د . ت ) ، ٤ / ١٧٣٧م ؛ ابن حنبل : مصدر سابق ، ٣ / ٨٥ .

(٤) محمد محسوب : الأخطار والكوارث ، ص١٨٨ ، ١٨٩ .

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ (١) .

وعن ابن عباس . رضي الله عنهما . قال : " كان رسول الله ( ﷺ ) لا يأكل الجراد ولا الكلوتين ولا الضب من غير أن يحرمها، أما الجراد، فرجز وعذاب..."(٢).

وقد انتشرت الكوارث الطبيعية زمن الدولة المملوكية في بلاد الشام ، وتنوعت ما بين زلازل ، وسيول ، وفيضانات ، وتساقط الأمطار ، والثلوج ، وهجمات أسراب الجراد ، بالإضافة إلى تفشي الأوبئة والطواعين ، وقد تسببت هذه الكوارث في تراجع الزراعة ، والصناعة ، والتجارة مما أدى إلى تدمير اقتصاد الدولة المملوكية ، وكان لحدوثها دور كبير في انعدام الأمن وعدم الاستقرار ، وترك حدوث بعضها آثاراً بالغة في تدمير وتخريب الكثير من المنشآت العمرانية . وقد بلغت الكوارث الطبيعية التي ضربت بلاد الشام خلال العصر المملوكي حوالي مائة وستٍ وخمسين كارثة تقريباً ، منها اثنتان وسبعون كارثة خلال العصر المملوكي الأول ( ٦٥٨ – ٧٨٤هـ / ١٢٦٠ – ١٣٨١م ) ، وأربع وثمانون كارثة في العصر المملوكي الثاني ( ٧٨٤ – ٩٢٣هـ / ١٣٨١ – ١٥١٧م ) (٣) .

ورغم كثرة الكوارث الطبيعية ، وأن الإنسان لا دخل له فيها ، إلا أن " المقريزي " يقرر بأنها ليست قدراً لا يمكن الفكاك منه ، ويرفض مبدأ الاستسلام

(١) سورة : الأعراف ، آية [ ١٣٣ ] .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن ، ٣ / ٤٦٢ .

(٣) نافذ محمد عبد ربه الشوامرة : الكوارث الطبيعية وآثارها في بلاد الشام في العصر المملوكي ( ٦٤٨ – ٩٢٢هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧م ) ، رسالة ماجستير ، جامعة الخليل فلسطين ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م ، ص١٦٨ – ١٨٢ .

الجبري ، والأخذ بمبدأ السببية ، مقرراً بأن ما يحدث من كوارث يمكن أن يتجاوزه الإنسان بالتخطيط ، والتصرف المستند إلى معرفة الأسباب ، والدوافع ، ومعالجة آثارها [١] . ومن هذا المنطق قامت الدولة المملوكية بالعديد من الإجراءات الوقائية لمواجهة الكوارث الطبيعية ، والتخفيف عن الناس بعض آثارها ، وكانت هذه الإجراءات تتخذها الدولة بصفة رسمية ، وأحياناً يقوم عامة الناس ببعض الإجراءات التي تقيهم خطر الكوارث . وسوف نتناول هذه الإجراءات حسب ضروريتها لأهالي بلاد الشام .

**ثانياً : إجراءات توفير المواد الغذائية الضرورية :**

اجتاحت بلاد الشام في العصر المملوكي العديد من الكوارث الطبيعية ، خاصة موجات القحط والجفاف التي تركت آثاراً سلبية في أوضاع السكان لفترة طويلة، فقد كان اعتمادهم على نزول الأمطار في زراعة كثير من المحاصيل الزراعية ، لذا تأثرت هذه المحاصيل بانحباس المطر ، كما تأثرت بموجات الجراد التي أكلت الأخضر واليابس ، الأمر الذي أثر على الإنتاج ، فارتفعت الأسعار ، وخاصة القمح باعتباره الغذاء الرئيس للناس .

وقد قامت السلطة المملوكية بالعديد من الإجراءات من أجل توفير المستلزمات الضرورية والسلع الاستهلاكية بشكل دائم ، فعملت على مواجهة الكوارث التي تتسبب في نقص الإنتاج الزراعي مثل : الآفات الزراعية ، ومشاكل مياه الري ، ثم لجأت في أوقات الخصب إلى زيادة الكميات اللازمة للاستهلاك المحلي ، وتخزين الفائض للاستفادة منه عند الحاجة ، وفي بعض الأحيان كانت

(١) إغاثة الأمة ، ص٧٧ ، ٧٨ ؛ نجمان ياسين : التفكير الاجتماعي والاقتصادي في كتاب ( إغاثة الأمة بكشف الغمة ) للمقريزي ، مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ، عدد (٢٢) لسنة ١٩٩٩م ، جامعة الموصل ، ص١٤٧ .

تلجأ إلى استيراد المواد الغذائية وإرسالها إلى المناطق المنكوبة .

**١- مكافحة الآفات الزراعية** :

لم تغفل السلطة المملوكية عن القيام بواجبها في مكافحة الآفات الزراعية ، ولاسيما هجمات أسراب الجراد الذي تسبب في نقص الانتاج الزراعي ، وارتفاع الأسعار ، وكانت مكافحة الجراد تتم بطريقين إما بقتله عن طريق طير السمرمر[١]، أو عن طريق الجنود وعامة الناس .

فالطريقة الأولى : كانت الدولة تقوم بجلب نوع معين من الطيور يسمى السمرمر إلى البلاد ، ولهذا الطائر قدرة فائقة على القضاء على الجراد ، ومن الطرق التي يتم جلب هذا الطائر إلى المناطق المنكوبة هي أن تحمل كميات من المياه من مناطق محددة [٢] ، وتعلق هذه المياه في قوارير وآنية في المناطق التي ينتشر فيها الجراد ، فيتجمع حولها هذا الطائر ، ويقوم باصطياد الجراد المنتشر في

---

(١) طائر السمرمر : طائر أصفر الريش قريب من شكل الخطاف ، وهو يعيش خارج البلاد الشامية ، وعندما يشم ماء السمرمر يقدم إلى المنطقة ، ويكون بينه وبين الجراد عداءٍ ومقتلَة ، يحمل كل منهما على الآخر ، ويفر الجراد من بين يديه . ابن كثير : البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ١٤ / ٣٥٦ ؛ الحلبي : إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، المطبعة العلمية ، حلب ، ( د . ت ) ، ٢ / ٤٨ .

(٢) هذه المياه موجودة في " عين شيرم " وهي بين أصفهان وشيراز ، وهي من عجائب الدنيا وذلك أن الجرادة إذا نزلت ووقعت بأرض يحمل إليها من تلك العين ماء في ظرف أو غيره فيتبع ذلك الماء طيور سود تسمى السمرمر ، ويقال لها السودانية ، بحيث أن حامل الماء لا يضعه على الأرض ، ولا يلتفت وراءه ، فتبقى تلك الطيور على رأس حامل الماء في الجو كالسحابة السوداء إلى أن يصل إلى الأرض التي بها الجراد . ابن الوردي : خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق : أنور محمود زناتي ، ط١ ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م ، ص٢٦٤ .

**المنطقة [١] . فمثلاً عندما هاجمت أسراب الجراد مدينة حلب [٢] سنة ٧٦٦هـ ( ١٣٦٤م ) قام الأمير منكلي بغا الشمسي [٣] بانتداب بعض الأفراد لإحضار ماء جاذب لطيور السمرمر ، وعلق على مئذنة أحد المساجد ، فقدم طير السمرمر بأعداد كبيرة ، وطارد الجراد إلى أن خلت منه البلاد [٤] ، وفي سنة ٨٥٩هـ ( ١٤٥٤م ) احتفل الناس بوصول ماء السمرمر إلى حلب بعد أن هاجمت أسراب الجراد البلاد [٥] .**

---

(١) ابن الوردي : المصدر نفسه والصفحة نفسها ؛ الحلبي ، مصدر سابق ، ٢ / ٤٨ .

(٢) حلب: مدينة عظيمة في بلاد الشام ، ولها قلعة حصينة يضرب بها المثل في الحسن والحصانة، وهي ثاني أكبر المدن السورية ، وتبعد عن دمشق ( ٣٥٠ كم ) . ياقوت : معجم البلدان ، ط٢ ، دار صادر ، بيروت ١٩٩٥م ، ٢ / ٢٨٢ – ٢٨٥ ؛ البغدادي : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق على محمد البجاوي ، ط١ ، دار المعرفة ، بيروت١٩٥٤م ،١ /٤١٧ ؛ يحيى شامي : موسوعة المدن العربية والإسلامية ، ط١ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٣م ، ص ٥٢.

(٣) هو : الأمير منكلي بغا الشمسي أحد مماليك السلطان الناصر حسن ، تولى أمير طبلخاناه سنة ٧٥٨هـ ، ثم ولي نيابة حلب سنة ٧٦٣هـ ، ثم نيابة دمشق سنة ٧٦٤هـ ، ثم استقر في نيابة السلطنة بمصر سنة ٧٦٩هـ ، ثم استعفي من النيابة ، وكان مهاباً عاقلاً عارفاً يتكلم في عدّة علوم ، توفى سنة ٧٧٤هـ . ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق : محمد عبد المعين ضان ، ط٢ ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الهند ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ، ٦ / ١٣١ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤ / ٣٥٦ ؛ المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٣م ، ٤ / ٢٨٠ ؛ ابن شاهين : نيل الأمل في ذيل الدول ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ط١ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، ١ / ٣٧١ .

(٥) الغزي : نهر الذهب في تاريخ حلب ، ط٢ ، دار القلم ، حلب ، ١٤١٩هـ ، ٣ / ١٨٢ .

وأما الطريقة الثانية : فهي مقاومة الجراد بتكليف عدد من الجنود بقتله ودفنه ، ففي سنة ٧٢٤هـ ( ١٣٢٣م ) أصدر السلطان الناصر محمد بن قلاوون ( ٧٠٩ – ٧٤١هـ / ١٣٠٩ – ١٣٤٠م ) [١] مرسوماً لمواجهة أسراب الجراد التي هاجمت بلاد الشام ، وقضت على جميع المزروعات [٢] . وعندما تكرر هجوم الجراد على مدينة حلب سنة ٧٤٨هـ ( ١٣٤٧م ) قامت السلطة المملوكية بتخصيص مجموعة كبيرة من الجنود لقتل الجراد ، وقد كان للعامة دور في صد أسراب الجراد عن مدينة حلب ، حيث اشتركت العامة مع الجند في التخلص منه[٣] ، وقدر عدد الذين اشتركوا في قتله ودفنه أربعة آلاف ، وقد أشار "ابن الوردي" إلي ذلك فقال[٤]: " فخرج عسكر من حلب وخلق من فلاحي النواحي الحلبية نحو أربعة آلاف نفس لقتله ودفنه ... " .

**٢- حلّ مشاكل المياه** :

لا شك أن توفير المياه من أهم الإجراءات الوقائية التي حرصت الدولة على

(١) هو : ناصر الدين محمد بن السلطان قلاوون ، ولد سنة ٦٨٤هـ ، تسلطن بعد قتل أخيه الأشرف ، ثم خلع وخرج إلى الكرك ، ثم أحضر إلى مصر سنة٦٩٨هـ وتسلطن للمرة الثانية ، ثم خلع وهرب إلى الكرك عام ٧٠٨هـ ، ثم عاد في العام التالي ، واستقر في الملك حتى توفي سنة ٧٤١هـ ، عمر في أيامه العديد من المساجد ، والخوانق . المقريزي : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، بغداد ١٩٥٥م ، ص ٩٥ –٩٩ ؛ المقفى الكبير ، تحقيق : محمد اليعلاوي ، ط ١ دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،١٩٩١م ، ٧ / ١٢٦.

(٢) الذهبي : دول الإسلام ، تحقيق : حسن إسماعيل مروة ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م ، ٢ / ٢٦٥ .

(٣) ابن شاهين : نيل الأمل ، ١ / ١٤٤ ؛ الغزي : نهر الذهب ، ٣ / ١٥٠ .

(٤) تتمة المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ ابن الوردي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ٢ / ٣٣٤ .

القيام بها ، لما قد ينشأ من شحُ المياه من أزمات اقتصادية شديدة وأضرار كبيرة على المجتمع ، خاصة أن بعض مدن الشام كانت تعتمد على الأمطار في معيشتها، وحتى من يعتمد منهم على مياه الأنهار فقد تعرضوا لأخطار الفيضانات والسيول ؛ فانهارت الجسور وغرقت الأراضي وقلَّ الانتاج ، وشهد العصر المملوكي جهوداً واضحة في حلّ مشاكل المياه ، وكان لسلاطين وأمراء المماليك دور عظيم في ذلك. فعندما شحت المياه في مدينة الخليل [١] سنة ٧٠٠هـ ( ١٣٠٠م ) عمل الأمير بكتمر الجوكندار المنصوري [٢] على حلّ هذه المشكلة بحفر القنوات ، وأنفق من ماله الخاص ما يقرب من أربعين ألف دينار على هذه القنوات ، ورفض أن يراجع أوراق مصروفاتها التي قدمت له ومزقها وقال : " شيء خرجنا عنه لله – تعالى – لا نحاسب عليه " [٣] .

ولما قلت المياه في حلب سنة ٧١٣هـ ( ١٣١٣م ) صدر المرسوم السلطاني

---

(١) مدينة الخليل :اسم موضع قرب بيت المقدس تنسب إلي سيدنا إبراهيم الخليل ( عليه السلام )، وهي من أشهر مدن الضفة الغربية لنهر الأردن ، تقع إلي الجهة الجنوبية الغربية من القدس ، وهي قاعدة محافظة الخليل . ياقوت : معجم البلدان ، ٢ / ٣٨٧ ؛ يحيي الشامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية ، ص ٩٧ .

(٢) هو : الأمير سيف الدين بكتمر عبد الله الجوكندار المنصوري ، أصله من مماليك المنصور قلاوون ، وظل يترقى في الخدمة حتى ولي نيابة السلطنة في الديار المصرية سنة ٧٠٩هـ ثم عزل منها سنة٧١١هـ ، ومات مقتولا سنة ٧١٦ هـ . المقريزي : المقفى الكبير ، ٢/٤٥٩– ٤٦١ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ،٢ / ٢٠، ٢١ ؛ ابن تغري بردي : المنهل =الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق : محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ – ١٩٩٩م ، ٣ / ٣٩٨– ٤٠١ .

(٣) المقريزي : مصدر سابق ، ٢ / ٢٦٦ .

إلى نائب حلب الأمير سيف الدين سودون [١] لحل هذه المشكلة ، وتوفير المياه ، فقام بالعمل على جلب المياه من نهر الساجور [٢] إلى نهر حلب عن طريق قناة تربط بينهما ، وأنفق عليها ثلاث مائة ألف درهم ، نصفها من ماله الخاص ، والنصف الآخر من مال السلطان ، غير أن الأمير سودون توفى قبل أن ينعم برؤية جهوده في إيصال الماء من الساجور إلى حلب [٣] .

فلما تولى نيابة حلب الأمير أرغون الناصري [٤] سنة ٧٣١هـ ( ١٣٣٠م ) عزم على إتمام هذا العمل لحل مشكلة نقص المياه ، حيث بذل جهوداً كبيرة

(١) هو : سيف الدين سودون بن عبد الله ، من مماليك الناصر محمد بن قلاوون ، رقاه الناصر من أمير مائة إلي مقدم ألف بالديار المصرية ، وولاه بعد ذلك نيابة حلب عوضاً عن الأمير قراسنقر المنصوري سنة ٧١٢هـ ، توفي سنة ٧١٤هـ . الصفدي : الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفي ، دار إحياء التراث ، بيروت ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ، ١٦ / ٨٢ .

(٢) الساجور : اسم نهر في منبج يصب في نهر الروم ( المتوسط ) ، يقع في شمال سوريا قريباً من الحدود التركية . ياقوت : معجم البلدان ، ٣ / ١٧٠ ، يحيى شامي : موسوعة المدن ، ص٦٥ .

(٣) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، تحقيق : علي أبو زيد وآخرون ، ط١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، ٢/ ٤٨٨ ؛ الوافي بالوفيات ، ١٦ / ٢٦

(٤) هو : سيف الدين أرغون الدوادار الناصري ، اشتراه الملك المنصور قلاوون وهو صغير لولده الناصر محمد ، وفي سنة ٧١٢هـ ولاه الناصر محمد نيابة السلطنة في مصر ، وفي سنة ٧٢٧هـ ولي نيابة حلب واستمر بها حتي سنة ٧٢٩هـ ، ثم طلب منه الحضور إلي مصر ، ثم أعيد من جديد إلي نيابتها ، توفي سنة ٧٣١هـ . الذهبي : دول الإسلام ، ٢٧٤/٢ ؛ المقريزي : المقفى الكبير ، ٢ / ١٤ – ١٦ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ٤١٧/١ ، ٤١٨ .

استمرت مدة ثمانية أشهر من أجل نقب الجبال والصخور ، وبنى على الأودية قناطر ، فوصلت مياه نهر الساجور إلى نهر حلب ، وخرج النائب والأهالي يحتلفون بوصول المياه ، وشعارهم التهليل والتكبير [١] .

كما أولى السلطان الناصر محمد بن قلاوون مشكلة قلة المياه التي واجهت مدينة القدس [٢] عناية فائقة ، فعندما بلغه أن سكان القدس يعانون من نقص حاد في المياه ؛ لانحباس الأمطار سنة ٧١٣هـ ( ١٣١٣م ) بعث من يثق بهم بالمال لتوصيل المياه من العيون الموجودة في مدينة الخليل إلى القدس ، وكتب إلى ولاة الأعمال بتيسير الرجال للعمل في ذلك ، وكلَّف الأمير علم الدين سنجر الجاولي [٣] بالإشراف على العمل ، وتمكنوا خلال سنة من العمل على إيصال المياه للمدينة ، كما قاموا في السنة نفسها بإعمار قناة السبيل الواقعة عند بركة السلطان بظاهر

---

(١) ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ط١ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ٢ / ٤٥٥ ؛ الذهبي : دول الإسلام ، ٢ / ٢٧٤ ؛ الغزي : نهر الذهب ، ١ / ٥٩ .

(٢) القدس : مدينة علي جبل بين جبال شامخة ، وفي المدينة أسواق وعمارات حسنة ، وهي عاصمة فلسطين ، من أشهر مدن العالم ، بها المسجد الأقصى ، وكنيسة القيامة ، وحائط المبكى ، وهي جميعاً من أهم مقدسات المسلمين ، والمسيحين ، واليهود ، استولى عليها الفرنج سنة ٤٩٢هـ ، وحررها صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ ، ثم احتلها الصهاينة في العصر الحديث . البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٣ /١٢٩٦ ؛ يحيى الشامي : موسوعة المدن العربية ، ص ٩٢ .

(٣) هو : علم الدين سنجر بن عبد الله الجاولي المعروف والده بالمشد ، من أمراء الناصر محمد بن قلاوون ، تولى نيابة الشوبك ، ثم سجن ثماني سنين ، ثم أفرج عنه ، ولاه السلطان الناصر نيابة غزة وبقي فيها حتى مات سنة ٧٤٥هـ . الصفدي : أعيان العصر ، ٢ / ٤٦٧ ، ٤٦٨ ؛ الوافي بالوفيات ١٥ / ٢٩٢ ، ٢٩٣ ؛ المقريزي : المقفى الكبير ، ٢/ ٦١١ ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ٦ / ٧٤ .

القدس من الجهة الغربية [١] .

ولما انحبست الأمطار عن القدس سنة ٧٨٥هـ ( ١٣٨٣م ) بعث السلطان الظاهر برقوق ( ٧٨٤ – ٧٩١هـ / ١٣٨٢ – ١٣٨٨م ) [٢] بالعمال لإيصال الماء من العروب [٣] إلى القدس [٤] .

وقامت السلطة المملوكية وأمراؤها في بلاد الشام بإصلاح الجسور التي

---

(١) الصفدي : نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ص٢١٣ ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٢٣ – ١٩٩٤م ، ٣٢ / ٢١٠.

(٢) هو : سيف الدين أبو سعيد برقوق بن أنص الجركسي ، ولد سنة ٧٤١هـ ، ثم أحضره الخواجا عثمان من بلاده ، وسمى " برقوق " لفتور كان بعينه ، ولا زال يترقى والأقدار تساعده إلى أن تسلطن سنة ٧٨٤هـ ، واستمر حتى سنة٧٩١هـ ، ثم خلع لمدة عام وعاد بعد ذلك واستمر حتى توفي سنة ٨٠١هـ ، وخلف العديد من الآثار في مصر ، فكان أعظم ملوك الجراكسة. ابن تغري بردي : مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة ، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٩٧م ، ٢ / ١٠٩ – ١١٩؛ ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق : محمد مصطفي زيادة ، ط٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢ – ١٩٨٤م ، جـ ١ ، ق ٢ / ٣١٩ ، ٥٢٦ .

(٣) العَرُّوب : بتشديد الراء ، اسم قريتين بناحية القدس فيهما عينان عظيمتان وبركتان وبساتين. ياقوت : معجم البلدان ، ٤ / ١١٢ .

(٤) المقريزي : السلوك ، ٥ / ١٦٠ ؛ ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، حققه : عدنان درويش ، المعهد الفرنسي للدراسات المصرية ، دمشق ، ١٩٩٤م ، ٣ / ١١٧ ؛ ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، تحقيق : حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٠ – ١٩٩٤م ، ١ / ٩٢ .

تقطعت من جراء السيول وأغرقت المزروعات ، ففي سنة ٦٦٤هـ ( ١٢٦٥م ) توجه السلطان الظاهر بيبرس ( ٦٨٥ – ٦٧٦هـ / ١٢٥٩ – ١٢٧٧م ) [١] ومعه حشد من الرجال من مدينة دمشق [٢] إلى الكرك [٣] لإعمار جسر على نهر الشريعة[٤] سقط بسبب السيول [٥] .

وعندما توقف جريان الأنهار في مدينة دمشق سنة ٦٨٣هـ ( ١٢٨٤م ) بسبب السيول قامت الدولة بحملة تنظيف واسعة للأنهار وإزالة مخلفات السيول[٦].

---

(١) هو : ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي النجمي ، أصله تركي ، اشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري وبه عرف ، ولايزال يترقى والأقدار تساعده إلى أن ملك مصر بعد مقتل قطز سنة٦٥٨هـ ، ولقب بالظاهر ، وجاهد وفتح البلاد ، توفي بدمشق سنة ٦٧٦هـ . الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١٠ / ٢٠٧ – ٢١١ ؛ المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ٨٥ ، ٨٦ ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ٣ / ٤٤٧ – ٤٦٧ .

(٢) دمشق : إحدى مدن الشام الشهيرة ، فتحها المسلمون سنة ١٤هـ ، وهي الآن عاصمة الجمهورية العربية السورية ، وأكبر مدنها سكاناً. ياقوت: معجم البلدان ، ٢ / ٤٦٣ ؛ الشامي : موسوعة المدن العربية ، ص ٥٧ .

(٣) الكرك : : قلعة كانت مشهورة أيام الحروب الصليبية ، وهي تقع في طرف الشام إلى الجنوب من البحر الميت في الجبال بين أيلة والبحر الأحمر " خليج العقبة " والبيت المقدس وهي حصينة جداً ، وهي إحدى محافظات الأردن . ياقوت : مصدر سابق ، ٤ / ٤٥٢؛ الشامي : مرجع سابق ، ص ١٤ .

(٤) نهر الشريعة : هو نهر الأردن ويقال له: نهر الغور ، ينبع من جبل الثلج وبانياس ويصب في بحيرة طبرية . ياقوت : مصدر سابق ، ٤ /٢١٧ ؛ محمد كرد علي : خطط الشام ، ط٣ ، مكتبة النوري ، دمشق ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ١ / ١٥ .

(٥) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دار الكتب المصرية ، ( د . ت ) ، ٧ / ١٤٠ .

**السيول[١]. وفي سنة ٧٤٥هـ ( ١٣٤٥م ) قامت السلطة المملوكية بإعادة إعمار الجسر المقام على نهر الدامور [٢] في مدينة طرابلس [٣] ، والذي تهدم جراء السيول [٤] .**

**ومن الإجراءات الوقائية للمحافظة على المياه وقت القحط والجفاف ، ما فعله السلطان الأشرف قايتباي الظاهري ( ٨٧٢ – ٩٠١هـ / ١٤٦٧ – ١٤٩٦م) [٥]**

---

(١) النويري : نهاية الأرب ، ٣١ / ٨٠ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، تحقيق : قسطنطين رزيق ، ونجلاء عز الدين ، منشورات الجامعة الأمريكية ، بيروت ، ١٩٣٦ – ١٩٤٢م ،٨ / ٧.

(٢) نهر الدامور : هو أحد أنهار لبنان الصغيرة ، يقع بقضاء الشون ، ويبلغ عرضه ستة أمتار ، وطوله أربعين متراً ، والدامور مدينة ساحلية ، تقع في منتصف الطريق بين بيروت وصيدا . ميخائيل موسى البعلبكي : تاريخ بعلبك ، المطبعة الأدبية ، بيروت ، ( د . ت ) ص٨٢ ؛ يحيى الشامي : موسوعة المدن العربية ، ص ١٢٤.

(٣) طرابلس : مدينة مشهورة علي ساحل بحر الشام ، وكان يطلق عليها طرابلس الشام ، تميزاً لها عن طرابلس الغرب في ليبيا ، وهي ثاني أكبر المدن اللبنانية بعد العاصمة بيروت . ياقوت : معجم البلدان ، ١ / ٢١٦ ؛ الشامي : مرجع سابق ، ص ١٢٧ .

(٤) صالح بن يحيى: تاريخ بيروت ، أشرف على تحقيقه : فرنسيس هورس اليسوعي ، دار المشرق ، بيروت ١٩٦٩م ، ص١٠٤ .

(٥) هو: السلطان الأشرف أبو النصر سيف قايتباى المحمودي ، جلبه الخواجا محمود إلى القاهرة ، ، واشتراه منه الأشرف برسباي ، وفي عهد الظاهر جقمق تولى العديد من المناصب مثل نيابة حلب ، وإمرة مائة ، وتقدمة ألف ، ثم جعله رأس نوبة النوب ، ثم تسلطن بعده في أواخر سنة ٨٧٢ هـ ، وهو من أطول سلاطين الجراكسة حكما ، وقد عرف عنه حبه للرحلات ، والأسفار ، والعمائر ، توفي سنة ٩٠١ هـ .ابن تغري بردي : النجوم ،١٦/ ٣٩٤ – ٣٩٦ ؛ السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ( د.ت ) ، ٦ / ٢٠١ – ٢١١ .

عندما أصدر مرسوماً سنة ٩٠١هـ ( ١٤٩٦م ) بمنع سقي المزروعات المغروسة على جانب نهر الساجور ، للحفاظ على كمية المياه الموجودة في النهر حتى تكفي احتياجات أهل مدينة حلب [١] . وشارك سكان بلاد الشام المملوكية في اتخاذ إجراءات احتياطية وقائية لتوفير المياه في أوقات القحط والجفاف ، وذلك بمنعهم الأمراء من استغلال مياه الأنهار والعيون لمصالحهم الشخصية ، ففي سنة ٨٨٧هـ ( ١٤٨٢م ) قام نائب السلطنة بدمشق الأمير قجماس الظاهري [٢] باستخدام مياه نهر ثورا [٣] لسقي بساتينه الخاصة بقرية عذراء [٤] ، مما آثار حفيظة الفلاحين

(١) الغزي : نهر الذهب ، ٣ / ١٨٧ ؛ نافذ الشوامرة : الكوارث الطبيعية ، ص١١٥ .

(٢) هو : قجماس الإسحاقي الظاهري جقمق نائب الشام ، نشأ في خدمة أستاذه ، ثم عمله الظاهر خشقدم خازندار كيس ، ثم ولاه الأشرف قايتباي نيابة الإسكندرية ، ثم نقل إلى نيابة الشام ، واستمر فيها حتى وفاته سنة ٨٩٢هـ . السخاوي : الضوء اللامع ، ٦ / ٢١٣ ؛ ابن طولون : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، ١ / ٦٧ ، ٦٨ .

(٣) نهر ثورا : أحد فروع نهر بردي ، ينفصل عنه في منطقة الشادوران الغربي ، ويتجه شرقاً على سفح جبل قاسيون ثم يدخل الغوطة ، وينتهي عند قرية عذراء ، ويسقي منه =قرى الصالحية كدومة ، وكفر مدير ، ومرايا ، وكان يسمى قديماً نهر سقط . ابن طولون: القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، تحقيق : محمد أحمد دهمان ، مكتب الدراسات الإسلامية ، دمشق ، ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م ، ١ / ٣٦٤ ؛ قتيبة الشهابي : معجم دمشق التاريخي للأماكن والأحياء والمشيدات ، ومواقعها وتاريخها كما وردت في نصوص المؤرخين ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٩٩م ، ٢ / ٣٢٧.

(٤) عذراء : قرية بغوطة دمشق من إقليم حوران تقع شرقي قرية دومة ، وهي من إقطاع النيابة، وشربها من نهر ثورا . ياقوت : معجم البلدان ، ٤ / ٩١ ؛ ابن طولون : ضرب الحوطة على جميع الغوطة ، مجلة المجمع العلمي ، دمشق ، مجلد (٢١ ) ، عدد (١٢) ، ١٩٤٦م ، ص١٥٩ .

المستفيدين من مياه النهر في قرية حرستا[١] ودومة [٢] ، فقاموا بثورة ، واعترضوا على النائب ، وطالبوه بإيقاف استغلال مياه نهر ثورا ، ومع تزايد ثورة الفلاحين ، اضطر النائب للرضوخ لمطالبهم ، وتوقف عن سحب المياه من النهر [٣] .

**٣- تخزين المواد الغذائية** :

من الإجراءات الوقائية التي لجأت إليها السلطة المملوكية لتوفير المواد الغذائية ، قيامها بتخزين السلع الضرورية لإعادة استخدامها في أوقات الكوارث ، ويشير "المقريزي" إلى أماكن تخزين الغلال في بلاد الشام بقوله [٤] : " كان ببلاد الكرك والشوبك [٥] وبلاد الساحل [٦] لما يرصد للمهمات ، والبواكير [٧] ما ينيف

(١) حَرَسْتَا : قرية كبيرة عامرة وسط بساتين دمشق على طريق حمص . ياقوت : معجم البلدان ، ٢ / ٢٤١ .

(٢) دُومَة : قرية كبيرة شرقي حرستا من أمهات القرى بغوطة دمشق ، وشربها من نهر ثورا ياقوت : نفسه ، ٢ / ٤٨٦ ؛ ابن طولون : ضرب الحوطة ، ص١٥٩ .

(٣) عبد الودود يوسف : جوانب اجتماعية من تاريخ دمشق في القرن الخامس عشر ، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية ، مجلد ( ٢٣ ) ، العدد ( ٢ ) ، ١٩٧٣م ، ص١٩١ .

(٤) إغاثة الأمة ، ص١٠٨ .

(٥) الشوبك : قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمان ، وأيلة ، والقلزم قرب الكرك . ياقوت : مصدر سابق ، ٣ / ٣٧٠ .

(٦) بلاد الساحل : تشمل كل مدن بلاد الشام الواقعة علي البحر المتوسط ، مثل : أنطاكية ، وطرابلس ، وعكا ، وصور ، وعسقلان ، وصيد ، وصفد ، وغزة ، وغيرها . ياقوت : نفسه ، ٣ / ٣١٢ ؛ الغزي : نهر الذهب ، ٣ / ٢٣٥ .

(٧) البواكير : جمع بيكار ، وهو لفظ فارسي معرب ، وقد جرى في مصطلح الدولة المملوكية للدلالة على على الحملات الحربية والحرب العامة . محمد أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص٤١ ؛ محمد قنديل البقلي : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . ( د . ت ) ، ص٧٠ .

على عشرين ألف غرارة [١] حملت إلى الأمصار" ، وعندما تحدث مجاعة كانت السلطة المملوكية تقوم بجمع الأقوات المخزنة ، وتوزيعها علي المناطق المنكوبة؛ للتخفيف من حدة المجاعة . فمثلاً عندما حدث قحط وجفاف في بلاد الشام سنة ٦٩٥هـ ( ١٢٩٦م ) وأدى إلى تناقص الأقوات في معظم النيابات ، ونجم عن ذلك مجاعة شديدة ، كلفت السلطة المملوكية الأمير علم الدين سنجر الدواداري [٢] بجمع الأقوات من صفد [٣] ، والكرك ، والشوبك ، وبلاد الساحل ، فوجد بها ما يقارب من عشرين ألف غرارة من القمح ، وقام بحملها ، وتوزيعها على المناطق المتضررة ، ووصل جزء منها إلى مصر [٤] .

كما كانت السلطة المملوكية تقوم بفتح مخازن الغلال ، وبيع الغلال بأسعار منخفضة ، ففي سنة ٦٦٢هـ ( ١٢٦٣م ) لما ضرب بلاد الشام موجة من القحط والجفاف ونتج عنه ارتفاع في الأسعار، أمر السلطان الظاهر بيبرس بفتح الأهراء[٥]

---

(١) غرارة : استخدمت لكيل الحبوب ، وكانت مقاديرها تختلف من مدينة لأخرى ، ففي دمشق كانت تعادل ( ٥ , ٢٠٤ كغم ) تقريباً من القمح ، وفي غزة كانت تساوي ( ٧٥ , ٣٠٦ كغم ) ، وفي القدس بلغت ( ١٠ , ٤٠٨ كغم ) . القلقشندي : صبح الأعشى ٤ / ١٨٨ ، ٢٠٥ ؛ هنتس . فالتر : المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة : كامل العسلي : منشورات الجامعة الأردنية ، ١٩٧٠م ، ص٧٠ ، ٧١ .

(٢) هو : علم الدين سنجر بن عبد الله الناصري ، كان من أعيان الملك المنصور قلاوون وولده الأشرف خليل ، كان شجاعاً مقداماً ، كثير الجهاد ، توفي سنة ٦٩٧هـ . الصفدي : أعيان العصر ٢ / ٤٧٢ ، ٤٧٣ ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ٦ / ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) صفد : مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام ، وهي من جبال لبنان ، وتشرف من جهة الشرق علي مجري نهر الأردن . ياقوت : معجم البلدان ، ٣ / ٤١٢ ؛ الشامي : موسوعة المدن العربية ، ص ٩٩ .

(٤) ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان ، ١ / ٢٨٥ .

الأهراء[١] وبيع خمسمائة أردب كل يوم من ويبتين [٢] فما دونها بأسعار منخفضة للضعفاء ، والأرامل [٣] .

ولم تكتف الدولة بذلك بل أرسلت الغلال إلي غزة [٤] ، وفرقت في أنحاء البلاد في محاولة للتخفيف من الضائقة الاقتصادية [٥] .

ولما علم السلطان الناصر محمد بن قلاوون بما أصاب بلاد الشام من قحط وجفاف سنة ٧٣٦هـ ( ١٣٣٥م ) أصدر مرسوماً ألزم فيه نواب البلاد الشامية بفتح الشون ، وبيع الغلال التي فيها على ألا يزيد سعر الغرارة من القمح على ثلاثين درهماً [٦].

## ٤- استيراد المواد الغذائية :

(١) الأهراء : هي حواصل لخزن أنواع الغلال المتنوعة ، وتحمل إليها من جهات مختلفة ، ولا تفتح إلا عند الضرورة ، وكان كل من أراد بيع غلة اتجه إلى الأهراء لبيعها ، وتعرف الأهراء في مصطلحنا الحديث بالشونة . أحمد الشرباصي : المعجم الاقتصادي الإسلامي ، دار الجيل ، بيروت ١٩٨١م ، ص ٤١ ؛ البقلي : التعريف ، ص٥٢ .

(٢) الويبة : مكيال للحبوب ، سعته سدس الأردب ، والويبة تساوي ستة أصع ، وهي بالضبط الكيلة المصرية الحالية ، فالأردب يساوي ١٢ ويبة أو كيلة . أحمد الشرباصي : مرجع سابق ، ص٢٤ ؛ البقلي : مرجع سابق ، ص٣٦٢ .

(٣) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر في سيرة الملك الناصر ، نشره : عبد العزيز الخويطر ، ط١ ، الرياض ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، ص١٨٨ – ١٩٠ ؛ بيبرس المنصوري : مختار الأخبار ، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان ، ط١ ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ١٩٩٣م ، ص٧ .

(٤) غزة : مدينة في فلسطين من ناحية مصر ، تقع علي ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وهي مركز قطاع غزة المشهور. ياقوت : معجم البلدان ، ٤/ ٢٠٢ ؛ الشامي: موسوعة المدن العربية ، ص ١٠٣ .

(٥) الصقاعي : تالي كتاب وفيات الأعيان ، تحقيق : جاكلين سوبلة ، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٧٤م ، ص٥١ .

(٦) اليوسفي : نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق : أحمد حطيط ، ط١ ، عالم الكتب ، بيروت بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص٢٩٥ .

لجأت السلطة المملوكية إلى جلب وتوفير المواد الغذائية الأساسية ، إما عن طريق جلبها من المناطق الخاضعة لسيطرتها ، أو من الدول المجاورة . فلما حدثت مجاعة في بلاد الشام سنة ٦٦٠هـ ( ١٢٦٢م ) بسبب الكوارث الطبيعية ، قامت السلطة المملوكية بجلب القمح من مصر إلى غزة عبر البحر ، ومنها إلى مختلف أنحاء البلاد في محاولة لتوفير المواد الغذائية الأساسية والتخفيف من آثار المجاعات في البلاد [١] .

ولما حدث سيل في مدينة دمشق سنة ٦٨٣هـ ( ١٢٨٤م ) وجرف معه كثيراً من الحوانيت بما فيها من السلع كالأقمشة ، والمواد التموينية ، مما أثر في ارتفاع أسعارها ، لجأ التجار – كإجراء وقائي – إلى استيراد السلع التجارية من الدول المجاورة بأسعار باهظة لتغطية النقص الحاصل في الأسواق [٢] .

وعندما هاجمت أسراب الجراد بلاد الشام سنة ٧٢٤هـ ( ١٣٢٣م ) وقضت على المزروعات ، ونتج عن ذلك ارتفاع أسعار الغلال حتى أصبح سعر غرارة القمح مائة وعشرين درهماً ، قام السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإصدار مرسوم إلى نائب الكرك يطلب منه نقل جملة من الغلال إلى دمشق ، كما ألزم الأمراء في مصر بجمع الغلال وإرسالها إلى البلاد الشامية ، فجمعوا نحو عشرين ألف إردب ، وأرسلوها عبر البحر إلى بيروت [٣] وطرابلس ، ووزعت على الأهالي ، ولضمان

---

(١) الصقاعي : تالي كتاب وفيات الأعيان ، ص٤١ .

(٢) النويري : نهاية الأرب ، ٣١ / ٨٠ ؛ البرزالي : المقتفي علي كتاب الروضتين ، المعروف بتاريخ البرزالي ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ط١ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ، ٢ / ٥٣ .

(٣) بيروت : مدينة مشهورة تقع علي لسان صخري يمتد داخل البحر الأبيض المتوسط ، وهي عاصمة لبنان . ياقوت : معجم البلدان ، ١ / ٥٢٥ ؛ الشامي : موسوعة المدن العربية ، ص ١٢٠ .

جدية إرسال الأمراء الغلال ، طلب السلطان منهم أن يحضر نائب كل أمير ما يدل على وصول الغلال التي أرسلها إلى دمشق [١] .أي يأخذ براءة أو إفادة موقعة من نائب دمشق تفيد بأنه تم إرسال ما قرر عليه من الغلال .

وفي سنة ٧٩٠هـ ( ١٣٨٨م ) اجتاحت موجة القحط والجفاف بلاد الشام فاشتد الغلاء ، ومما زاد الأمر سوءاً انتشار الطاعون ، فلما بلغ السلطان ذلك أمر بنقل الغلال من مصر وتوزيعها على بلاد الشام [٢] .

## ثالثاً : الإجراءات الصحية :

اتخذت السلطة المملوكية في بلاد الشام العديد من الإجراءات الوقائية الصحية لتفادي وقوع الأوبئة أو للتقليل من آثارها ، وتمثلت هذه الإجراءات في : نشر التوعية الصحية ، والقيام بحملات التنظيف لمنع انتشار الأوبئة ، كما قامت بإنشاء العديد من المؤسسات الصحية مثل : البيمارستانات[٣] وتوفير الأدوية بها وإنشاء مغاسل للموتى .

### ١- نشر التوعية الصحية :

عملت السلطة المملوكية في بلاد الشام علي نشر التوعية الصحية للحد من انتشار الأوبئة والطواعين ، وقد أشارت المصادر التاريخية إلى الوعي الصحي الذي

---

(١) الذهبي : دول الإسلام ، ٢ / ٢٦٥ ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، تحقيق : محمد محمد أمين ، ط١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٦ – ١٩٨٦م ، ٢ / ١٤٢ ، المقريزي : السلوك ، ٣ / ٧٣ ؛ البرزالي : المقتفي ، ٤ / ٢٧٣ .

(٢) ابن قاضي شهبة : تاريخه ، ٣ / ٢٣٨ – ٢٤٢ .

(٣) البيمارستان : كلمة فارسية مركبة من مقطعين " بيمار " أى مريض و " ستان " أى موضع ، ثم عربت فيقال " مارستان " بفتح الراء وكسرها ، فالمارستان يعنى المصحة أو المستشفي . المعجم الوسيط ، ٢ / ٨٦٣ .

وصل إليه الناس في مواجهة الوباء ، وبحثهم عن وسائل وعلاجات تحميهم منه ، مع الإشارة إلى بعض العادات المتبعة آنذاك ، والتي نصح بها الأطباء ، كتطهير المساكن وتلطيف هوائها بالتبخير بالكافور ، والسُّعْد [١] ، والصندل [٢] ، والمسك ، والعنبر ، فاستعمال الروائح الزكية يعمل على تنشيط النفس ، حيث تندفع الروائح الحاصلة من اختلاط الأهوية الرديئة من الوباء [٣] .

كما نصح الأطباء الناس باستخدام ماء الورد ، وخله ، حيث يدهن به الإنسان نفسه ، وخلف أذنه ، وتحت إبطه ، وصدره ، والابتعاد عن أكل اللحوم ، وخاصة لحوم الأغنام ، ولا يأكل الطعام وهو حار ، ولا يكثروا من المرق ، ويأكل الطعام الجاف كالنواشف ، والحوامض ، وجعل الخل ، والبصل ، والصحنا [٤] من جملة الطعام [٥] .

ومن طرق الوقاية أيضاً إصلاح الماء بإضافة الملح إليه قبل الشرب ، والإقامة في الظل ، وفي الأماكن الجافة والبعيدة عن التيارات الهوائية الباردة[٦] .

كما نصح الأطباء الناس بعزل المرضى ، وعدم الاختلاط بهم حتى

---

(١) السُّعْد : بالضم من الطيب ، قال الأزهري : السُّعْد نبت له أصل تحت الأرض أسود طيب الريح ، يستخدم في العطر وفي الأدوية . ابن منظور : لسان العرب ، ٣ / ٣١٦ .

(٢) الصندل : خشب أحمر ومنه الأصفر ، وقيل: الصندل شجر طيب الريح . ابن منظور : نفسه ١١ / ٣٨٦ ؛ المعجم الوسيط ، ١ / ٥٢٥ .

(٣) ابن القف : العمدة في الجراحة ، طبعة حيدر أباد ، الدكن ، الهند ( د . ت ) ٢ / ٢٨ ؛ ابن الوردي : الديوان ، تحقيق : أحمد الهيب ، ط١ ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٨٦م ، ص٩١ .

(٤) الصِحناء : بالكسر إدام يتخذ من السمك الصغار ، ومشه مصلح للمعدة ، وهو فارسي ، واسمه عند العرب الصّير . ابن منظور : مصدر سابق ، ١٣ / ٢٤٥ ؛ .

(٥) ابن الوردي : الديوان ، ص٩١ .

(٦) ابن القف : العمدة في الجراحة ، ٢ / ٢٨ .

لا يستنشقوا الهواء المحيط بالمرض ، والذي يختلط بأنفاسهم ، فيصيب المخالطين بالمرض ، بالإضافة إلى عدم الإكثار من المرور في الشوارع ، والأسواق [١] .

ومن نصائح الأطباء للمرضى تناول السكر ، فعلى إثر ازدياد حدة الطاعون ببلاد الشام سنة ٨٣٣هـ ( ١٤٢٩م ) كثرت الإصابات في صفوف السكان ، وتوالت نصائح الأطباء ، وإرشادهم للمرضى بضرورة تناول السكر المطحون والمخلوط بمسحوق الرمان الحامض للتخفيف من حدة آلامه ، وبذلك غشي السكان بصيص من الأمل في إمكانية الشفاء ، فأقبلوا على تناوله بكميات كبيرة[٢] .

## ٢- العمل علي الحد من انتشار الأوبئة :

قامت السلطة المملوكية في بلاد الشام بالعديد من الإجراءات للحد من انتشار الأمراض ، فقد تنبهت السلطة المملوكية إلى أسباب انتشار الوباء ، مثل تلوث مجاري المياه ، فقامت بحملات تنظيف لإزالة الأوساخ والقاذورات ، وتنظيف مجاري المياه كخطوات وقائية للحد من انتشار الأوبئة ، وكان لنواب الشام دور كبير في مكافحة الأمراض والحد من انتشارها في ولايتهم ، ففي سنة ٧٢٧هـ ( ١٣٢٧م ) قام نائب الشام الأمير تنكز [٣] في دمشق بحملة تنظيف للأوساخ والقاذورات على أثر تفشي الوباء فيها ، إذ أوعز للعمال بتنظيف مجاري المياه ، وصرف مقابل ذلك حوالي

---

(١) ابن القف : نفسه ، ٢ / ٢٨ .

(٢) ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، ٣ / ١٨٨ .

(٣) هو : سيف الدين تنكز بن عبد الله الحسامي الناصري ، تولى نيابة دمشق سنة ٧١٢هـ ، مات بالإسكندرية سنة ٧٤١هـ . وكان تنكز عظيم السطوة شديد الغضب وله بدمشق آثار حسنة وأوقاف كثيرة . ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤ / ١٨٧ ؛ ابن طولون : إعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م ، ص٣٨ .

ثلاثمائة ألف درهم ، بعد أن تبين أن السبب في تفشيه تراكم الأوساخ [١] . كما قام الأمير تنكز في سنة ٧٣٩هـ ( ١٣٣٨م ) بالاهتمام بوسائل الصرف الصحي ؛ فأمر بإزالة الأوساخ في مدينة دمشق ، وتنظيف مقاسم المياه وفتح منافذها ، الأمر الذي ساعد على حفظ المدينة من كثير من الأمراض [٢] .

كما اهتم سلاطين المماليك بمنشآت المياه ، وهذا الاهتمام ينصب في مجال الرعاية الصحية العامة لمنع انتشار الأمراض ، حيث جرى تعمير شامل ومتكرر في البرك ، وقنوات المياه ، فعندما انتشرت الأمراض والحميات في مدينتي الرملة[٣] ، والقدس سنة ٦٧٢هـ ( ١٢٧٣م ) قامت السلطة المملوكية بمحاولة إيجاد حلول لمعالجة آثار هذه الأمراض ، فقامت بتجديد مياه الآبار التي كان يعتقد أنها سببٌ في تفشي هذه الأمراض [٤] . وحرصوا كذلك على إعمار الأسبلة لتوفير مياه الشرب النقية لأهالي الشام ، ولم يقتصروا على ذلك بل وقفوا عليها الأوقاف للصرف على مصالحها [٥] .

كما قامت السلطة المملوكية بحملات تنظيف للشوارع من جثث الموتى المتعفنة

---

(١) الصفدي : أعيان العصر ، ٢ / ١٢١ ؛ المقريزي : السلوك ، ٣ / ١٠٢ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ٢ / ٦٧ .

(٢) ابن قاضي شهبة : تاريخه ، ١ / ٥٤٦ ؛ ابن حجر : مصدر سابق ، ٢ / ٧٠ .

(٣) الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين ، وكانت رباطا للمسلمين ، كثيرة الفواكه ، حررها صلاح الدين الأيوبي من الفرنج ، ثم خربها حتي لا يستولوا عليها مرة أخري، وتشتهر بالزراعة وصناعة الأثاث ، والمفروشات ، واستخراج زيوت القطن ، والسمسم . ياقوت : معجم البلدان ، ٣ / ٦٩ ؛ الشامي : موسوعة المدن العربية ، ص ٩٨ .

(٤) المقريزي : السلوك ، ٢ / ٨٧ .

(٥) الذهبي : دول الإسلام ، ٢ / ٢٧٤ ؛ ابن قاضي شهبة : تاريخه ، ٣ / ١١٧ ، ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، ١ / ٩٥ .

تحت الأنقاض بسبب الزلازل والتي تؤدي إلى انتشار الروائح الكريهة ، وانتشار الذباب ، وحدوث الأمراض كما حدث في طاعون سنة ٨٥٢هـ ( ١٤٤٨م ) [١] .

ومن الإجراءات الوقائية لمنع انتشار الأوبئة ، قتل الكلاب ، لاعتقاد الناس أن هناك علاقة بين انتشار الأمراض وبين بعض الحيوانات ، وأنها السبب في نقل العدوى ، ففي سنة ٧٢٩هـ ( ١٣٢٩م ) تفشت الأمراض في بلاد الشام ، فأمر نائب السلطنة الأمير تنكز بجمع الكلاب من أنحاء دمشق ، ومن ثم قتلها وحرقها اعتقاداً منه أنها السبب في تفشي الأمراض ، وعلى أثر ذلك قام بقتل ما يقارب من ألف كلب [٢] . وتكرر هذا الأمر سنة ٧٤٥هـ ( ١٣٤٤م ) أثناء انتشار الطاعون في بلاد الشام ، حيث استفتى النائب العلماء في قتل كلاب البلد ، فرسم بإخراج الكلاب خارج المدن وقتلها ، وحدث هذا الأمر أيضاً في طاعون ٧٤٩هـ ( ١٣٤٨م ) [٣] .

وللحد من انتشار الأوبئة والإصابة بها ، امتنع الناس عن تغسيل الموتى خوفاً من الإصابة بالعدوى ، خاصة بعد ظهور حالات وفيات أثناء تغسيلهم للموتى فقد ذكر "المقريزي" [٤] و"ابن تغري بردي" [٥] في طاعون ٧٤٩هـ " أن إمرأة مغسلة ماتت وهي تغسل إمرأة ميتة " ؛ فكانت مثل هذه الحادثة سبباً في عدم إقبال الناس على تغسيل الموتى ، ويصف "المقريزي" [٦] ذلك بقوله : " اشتهر الوباء حتى لم يوجد مغسل للموتى " .

---

(١) الحلبي : إعلام النبلاء ، ٣ / ٤١ ؛ يوسف غوانمة : الزلازل في بلاد الشام في العصر المملوكي ، وأثرها على المعالم العمرانية ، دار الفكر للنشر والتوزيع،١٩٩٠م،ص٦٢.

(٢) ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان ، ٣ / ٣٢ ؛ الذهبي : مصدر سابق ، ٢ / ٢٧٣ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤ / ٢٤٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(٤) السلوك ، ٤ / ٨٨ .

(٥) النجوم الزاهرة ، ١٠ / ١٥٥ .

(٦) السلوك ، ٤ / ٨٨ .

**٣- إنشاء البيمارستانات لرعاية المرضى والمصابين من الكوارث الطبيعية:**

أولى سلاطين المماليك الجانب الصحي عناية فائقة ، فتم في عصرهم تشييد عدد من البيمارستانات في مدن بلاد الشام على أيدي السلاطين ونوابهم ، وحرصوا على رصد كثير من الأموال لتلك البيمارستانات في فترات تفشي الأوبئة والطواعين ، وخصصت بعض أقسامها لمداواة المصابين بالأوبئة ومعالجتهم ، ووجد في بعضها قاعة لمرضى الأوبئة والطواعين والحميات [١] . ففي سنة ٦٨٠هـ ( ١٢٨١م ) أنشأ السلطان المنصور قلاوون ( ٦٧٨ – ٦٨٩هـ / ١٢٧٩ – ١٢٩٠م ) [٢] البيمارستان المنصوري في مدينة الخليل ، وأوقف عليه الأوقاف [٣] من الضياع ، والبساتين ، واشترط ألا يمنع المرضى من دخول البيمارستان ، ورتب للمرضى

---

(١) مبارك محمد الطراونة : الأوبئة والطواعين وآثارها الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة ، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار ، المجلد ( ٤ ) ، العدد ( ٣ ) ، ٢٠١٠م ، ص٥٥ .

(٢) هو : الملك المنصور سيف الدين أبو المعالى قلاوون الصالحي الألفي ، اشتراه الأمير آق سنقر بألف دينار ، فعرف بالألفي ، تسلطن سنة ٦٧٨هـ ، وكان ملكاً كريماً مهيباً حليماً حسن السيرة ، فتح البلاد ، وعمّر المدارس ، والقلاع ، توفي سنة ٦٨٩هـ. الصفدي : الوافي بالوفيات ، ٢٤ / ١٩٩ ، ٢٠٠ ؛ ابن تغري بردي : مورد اللطافة ،٣٨/٢ ، ٤٠ .

(٣) الوقف والوقوف في اللغة : الحبس والحُبوس ، والموقوف عند الفقهاء هي العين المحبوسة إما على ملك الواقف ، وإما على ملك الله تعالى . ويقصد بالوقف : حفظ العقار من التبديد ، وأن يخصص دخله لذرية مؤسس الوقف ، وفقا للأنصبة التي يحددها في وثيقة الوقف ، وهو ما يطلق عليه الوقف الأهلي ، أو يخصص دخلها لمؤسسات دينية أو خيرية ، والإنفاق منها على جميع أوجه البر ، وهو ما يطلق عليه الوقف الخيرى . سعيد عبد الفتاح عاشور : حضارة الإسلام ، ط ٣ ، المعهد العالي للدراسات الإسلامية ، القاهرة ٢٠٠٤م ، ص ١٦٦ ؛ المعجم الوسيط ، ٢ / ١٠٥١ .

الأشربة ، والسكر ، والفراريج ، والخيار البلدي [١] كما بادر الأمير سيف الدين تنكز إلى تشييد بيمارستان في مدينة صفد في سنة ٧٢١هـ ( ١٣٢١م ) [٢].

كذلك شيد الأمير علم الدين سنجر الجاولي بيمارستاناً في مدينة غزة ، وآخر في الكرك ما بين سنة ٧٢١هـ – ٧٤٥هـ ( ١٣٢١ – ١٣٤٤م ) [٣] .

وقام الأمير سيف الدين أرغون الكاملي [٤] بتشييد بيمارستان في مدينة حلب[٥] سنة ٧٥٥هـ ( ١٣٥٤م ) ، ورتب فيه الأطباء ، والآلات ، والخدم ، وفتح أبوابه للمرضى من حلب ، وخارجها [٦] .

كما اهتم سلاطين المماليك بإنشاء البيمارستانات المتنقلة ، وهو الذي ينقل من مكان إلى مكان بحسب ظروف الأمراض والأوبئة وانتشارها ، وكان هذا النوع من البيمارستانات معروفاً لدى خلفاء الإسلام وملوكهم وسلاطينهم وأطبائهم بل

---

(١) النويري : نهاية الأرب ، ٣١ / ٧١ .

(٢) الصفدي : أعيان العصر ، ٢ / ١٢٢ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ١ ، ق٢ / ٣٥٣.

(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١٥ / ١٢٢ ؛ المقريزي : السلوك ، ٣ / ٤٢٢ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤ / ٢٩٥ .

(٥) هو : سيف الدين أرغون بن عبد الله الكاملي الصغير ، أصله من مماليك الملك الصالح إسماعيل وكان يدعى في أيام الملك الصالح بأرغون الصغير، فلما مات الملك الصالح وتسلطن من بعده أخوه الملك الكامل شعبان حظي عنده وصار من خواصه، وسمي أرغون الكاملي، ثم أمّره الملك الكامل وصار من أعيان الأمراء ، ولما تسلطن الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ولاه نيابة حلب في سنة ٧٥٠هـ ، ثم عزل عنها في سنة ٧٥٥هـ ، وتوجه إلى القاهرة فاعتقل بها، ثم أطلق ورسم بتوجهه إلى القدس بطالا، فأقام بها إلى أن توفي سنة ٧٥٨هـ. الصفدي : الوافي بالوفيات ، ٨ / ٢٣٠ ، ٢٣١ ؛ المقريزي: المقفى ، ٢ / ١٨ ، ١٩ ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ٢ / ٣١٩ – ٣٢٢ .

(٦) سبط بن العجمي : كنوز الذهب في تاريخ حلب ، ط١ ، دار القلم ، حلب ، ١٤١٧هـ ، ٤٤٨/١ .

الراجح أن يكونوا أول من أنشأه ، وهو مستشفى مجهز بجميع ما يلزم للمرضى من أدوات ، وأدوية ، وأطعمة ، وأشربة ، وملابس ، وأطباء ، وصيادلة[١] .

وتعددت صور البيمارستانات المنتقلة ، وخدماتها ، فمنها من كان خاصاً بالسلاطين والأمراء ، حيث كانت المنشآت العلاجية المتنقلة تصحبهم في سفرهم وترحالهم ، ومنها ما كانت تصحب الجيوش والأساطيل ، وما يهمنا هنا هو الصنف الذي يخدم المجتمع ، وهذا النوع يعرف بمارستان " السبيل " ، وهو عبارة عن بعثات أو قوافل طبية يكثر انتشارها في وقت الأوبئة ، وانتشار الأمراض ، خاصة في القرى ، والأماكن النائية [٢] .

**٤- توفير الأدوية للمرضى** :

اهتم سلاطين المماليك بصناعة الأدوية ، بسبب ما مرت به البلاد من الأمراض والأوبئة في مدة حكمهم ، وحاجة الناس إلى علاج لتلك الأمراض ، وخير شاهد على ذلك دهان البلسان [٣] الذي كان سلاطين المماليك يهتمون به أشد الاهتمام ، ويقدمونه لأمرائهم ، وكبار رجال الدولة ، والذي يعتبر من المواد المهمة

---

(١) أحمد عيسى بك : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ط٢ ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص١١ .

(٢) ماهر عبد القادر محمد علي : مقدمة في تاريخ الطب العربي ، دار العلوم العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ص٢٥٣ .

(٣) البلسان أو البلسم : شجر ذكي الرائحة ولا يعرف نباته بغير مصر ، خاصة بالموضع المعروف فيها بعين شمس ، وأما دهن البلسان فإن يخرج بعد طلوع القلب بأن تشرط بمشراط حديد ، والذي يخرج منه شيء يسير ، والذي يجتمع فيه في كل عام ما بين الخمسين إلى الستين رطلاً ، وهذا يدل على قيمة هذا الدواء العالية وصعوبة توفيره . =ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ١ / ١٤٧ ، ١٤٨ .

التي تدخل في صناعة العديد من الأدوية ، وكانوا يرسلون جزءاً منه إلى البيمارستان ، حيث يستعمل في علاج الجروح ، وحفظ الجثث [١].

وكان مُنشئو البيمارستانات في بلاد الشام ، يخصصون مكاناً فيها لخزن الأدوية ، وحواصل العقاقير ، فيذكر "النويري" [٢] عند حديثه عن بيمارستان المنصور قلاوون أنه " أفردت به أماكن لطبخ الطعام ، والأشربة ، والأدوية ، والمعاجين ، وتركيب الأكحال ، وعمل المراهم ، وتركيب الترياقات ، وأماكن لحواصل العقاقير ، وغيرها " ، وهذا الأمر كان يعمم في جميع البيمارستانات .

وكان في المخزن أو الصيدلية من العقاقير ما يكفي لأكثر من سنة مما يحتاجه المرضى ، وإذا قلت مادة في المخزن ، أسرعوا إلى ابتياع ما يحتاجونه منها [٣] ، وإذا عزت الأدوية – خاصة في أوقات الكوارث – في المدينة وكانت متوفرة في البيمارستان ، فإنها تقدم لمن يحتاجها ، سواء عولج بالبيمارستان أو من طبيب خارجي ، ولا يؤخر العطار أو الصيدلاني أي علاج يكتبه الطبيب للمرضى، ولا يتوانى في تحضيره وتقديمه [٤] ، فقد كانوا يعملون في تحضير الأدوية عند تفشي الأمراض ليلاً ونهاراً ، كما حدث في سنة ٧٢٦هـ (١٣٢٦م) عندما

---

(١) ابن البيطار : نفسه ، ص١٤٩ ؛ زبيدة محمد عطا : الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين ، دار الأمين ، ١٩٧٧م ، ص١٦٦ ؛ ف . هايد : التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ترجمة : أحمد رضا محمد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م ، ٤ / ٧٣ – ٧٩ .

(٢) نهاية الأرب ، ٣١ / ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٣) ابن النفيس : الموجز في الطب ، تحقيق : عبد الكريم العزباوي ، ط٢ ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، مصر، ١٩٩٧م ، ص٦٤ .

(٤) محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، ١٩٩٨م ، ص١٦٣ ، ١٦٤ .

تفشى الزكام في دمشق ، وحلب ، ولم يبق بيت دون وجود مريض فيه ، بقي العطارون مدة ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ يعملون في تجهيز الأدوية دون إغلاق لدكاكينهم [١] .

وقد وضعت السلطة المملوكية أنظمة تعد من أسس الرعاية الصحية الحديثة، فقد كانت تؤكد على العطارين والصيادلة على ضرورة تحضير الأدوية في أوانها ، وتخزينها لحين الحاجة إليها ، على أن يصرف لكل مريض ما يحتاجه فقط دون زيادة أو نقصان [٢] .

كما شددت السلطة المملوكية الرقابة على صناعة الأدوية ، فقد أسندت إلى المحتسب [٣] أمر الرقابة على الصيادلة ، وذلك لكثرة ما يقع من غش في هذه المهنة ، والضرب على أيديهم إذا خالفوا أصول المهنة ، وأضافوا إلى العقاقير ما يفسدها ويخرجها عن خواصها العلاجية ، فقد كانت الدولة خاصة في أوقات الأوبئة والطواعين تشد على المحتسب لمراقبة الصيادلة ، وينصحونهم بمراقبة الله – سبحانه وتعالى – في صناعتهم ، وكان المتحسب تجوفهم بالعقوبة والتعزير ،

---

(١) ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان ، ٢ / ١٢٣ .

(٢) محمد محمد أمين : مرجع سابق ، ص ١٦٤ .

(٣) الحسبة : وظيفة دينية قوامها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإصلاح بين الناس واختص المحتسب بالنظر في مصالح الرعية ، وكشف أحوال السوق ، ومراقبة الصناعات والإشراف على الآداب العامة ، فهو أشبه بمفتشي التموين في أيامنا . الماوردي : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق : أحمد جاد ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م ص ٣٤٩ ؛ الشيزرى : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق : السيد الباز العريني ، ط ٢ ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٨١م ، ص ٦ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ٤ / ٣٨ .

ويراجع عليهم عقاقيرهم كل أسبوع [١] .

**٥- إنشاء مغاسل للموتى** :

كثرت الوفيات أثناء انتشار الأوبئة والطواعين ، وتركت الجثث التي لا تجد من يواريها التراب على الأرض والطرقات مدة قد تصل إلي ثلاثة أيام ، واضطر الناس في بعض الحالات إلى نزع أكفان الأموات بعد إدخالهم القبور لتجهيز غيرهم بها ، كما حدث في بلاد الشام أثناء انتشار الأوبئة والطواعين سنة ٧٤٩هـ ( ١٣٤٨م ) [٢] ، وعلى أثر ذلك قامت السلطة المملوكية في بلاد الشام بالعديد من الإجراءات الوقائية : مثل تخصيص أماكن في البيمارستانات لتغسيل وتكفين من يموت فيها من المرض ممن لا يجدون من يشرف على تجهيزهم ودفنهم ، وتتجلى هذه الخدمة للبيمارستانات بوضوح أثناء فترة انتشار الأوبئة والطواعين [٣] .

ولما كثرت الوفيات عمد الخيرون من الحكام والأثرياء إلى إنشاء مؤسسات خاصة بتغسيل الأموات الفقراء الذين لا يجدون من يتكفل بغسلهم ودفنهم ، أطلق عليها مغاسل أو حوانيت الموتى ، فكان الموتى يحملون إلى تلك المغاسل ليغسلوا فيها، ويتم تجهيزهم للدفن من ريع الوقف المخصص لهذه الحوانيت أو المغاسل[٤].

ومن أشهر هذه الأوقاف " وقف الطُرَحَاء " [٥] الذي جعله السلطان الظاهر

---

(١) الشيزري : مصدر سابق ، ص٤٢ ، أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات ، ص٥٧ .

(٢) المقريزي : السلوك ، ٤ / ٩٢ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٠ / ١٦٥ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ ١، ق٢ / ٥٢٨ .

(٣) ابن حجر : إنباء الغمر ، ١ / ٣٣٣ ؛ ابن قاضي شهبة : تاريخه ، ٣ / ٨١ .

(٤) السخاوي : التبر المسبوك في ذيل السلوك ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ( د . ت ) ، ص٢٥٤ ؛ محمد عثمان الخطيب : الأوقاف الإسلامية في فلسطين في العصر المملوكي ، دار الكتاب الثقافي ، إربد ، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م ، ص١٧٥ .

(٥) الطُرَحَاء : هم الفقراء أو الضعفاء من الشعب . دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص١٠٧.

**بيبرس برسم تغسيل وتكفين ودفن فقراء المسلمين [١] .**

**وإن كانت المصادر التاريخية قد ذكرت هذا الوقف في مصر ، فإنه لا يمنع أن تكون بلاد الشام قد سارت على هذا النهج ، والدليل على ذلك ما عرف " بوقف الأكفان " في مدينة طرابلس ، وهو مخصص لتكفين الموتى من الفقراء ودفنهم ، و " وقف الغرباء " وهو مخصص لتغسيل وتكفين ودفن الغرباء عن المدينة الذين يتوفون وهم فيها ، ولا يعرف لهم أقارب [٢] . كما وجدت أوقاف كثيرة لإنشاء مقابر للمسلمين ، وكان من أشهرها أوقاف العادل كتبغا [٣] نائب حماة [٤] في عهد الناصر محمد بن قلاوون ، الذي أوقف على مقابر سفح**

---

(١) المقريزي : السلوك ، ٢ / ٩٩ .

(٢) راغب السرجاني : روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية ، ط١ ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٠م ، ص١٣١ ؛ شريفة بنت محمد العتيبي : رعاية الفئات المحتاجة وآثارها في بلاد الشام خلال العصر المملوكي ، رسالة دكتوراه ، جامعة القصيم ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٧م ، ص٣٠٨ .

(٣) هو : زين الدين كتبغا بن عبد الله المنصوري التركي المغلي ، أصله من سبى التتار ، أخذه المنصور قلاوون وأدبه ثم أعتقه ، وجعله من جملة مماليكه ، ورقّاه حتى صار من أكابر الأمراء ، ثم ولي نيابة السلطنة سنة ٦٩٣هـ ، ثم ترك منصبه بسبب سلطنته سنة ٦٩٤هـ =ولقب بالملك العادل ، ثم خلعه نائبه لاجين سنة ٦٩٦هـ ، وأعطاه نيابة صرخد ، ثم نقله إلى نيابة حماة فمات بها سنة ٧٠٢هـ . الصفدي : أعيان العصر ، ٤ / ١٤٤ ، ٤٥ ؛ الوافي بالوفيات ، ٢٤ / ٢٤٠ ، ٢٤١ ؛ ابن تغري بردي : مورد اللطافة ،٢ / ٤٨ – ٥٠ .

(٤) حماة : مدينة في شمال الشام قريبة من حلب وحمص ، وهي مركز محافظة حماة ، وإحدى أكبر المدن السورية . ياقوت : معجم البلدان ، ٢ / ٣٠٠ ؛ الشامي : موسوعة المدن العربية ، ص ٥٤.

قاسيون[١] في دمشق أوقافاً جليلة [٢] .

وكان المقتدرون من ذوي اليسار يوكلون إلى أصحاب المغاسل ، وحفاري القبور ، وأصحاب الحوانيت الخاصة القيام بترتيبات الغسل والدفن [٣] .

ولما كثر عدد الوفيات أثناء تفشي الطاعون في بلاد الشام في سنتي ٧٩٧هـ – ٧٩٨هـ ( ١٤٩١ – ١٤٩٢م ) لجأ كثير من الناس إلى حوانيت الأوقاف أو تغسيل موتاهم بأنفسهم وتكفينهم ، وكثر المتطوعون لإخراج الموتى ، وفتحت الأماكن القديمة المعدة للدفن ، وجمعت عظام من مات قديماً من أجل إيجاد أماكن لمواراة الجثث [٤] ، وقلت التوابيت فحملت الجثث على السلالم ، والأبواب إلى المقابر [٥] . على أثر ذلك قامت السلطة المملوكية بإجراء لحل هذه المشكلة ، وذلك بوقف نعوشٍ كثيرة في أرجاء البلاد لتسهيل نقل الموتى [٦] . كما قامت في سنة ٩١٩هـ ( ١٥١٣م ) بفتح أماكن جديدة لتغسيل الموتى وتكفينهم [٧] .

---

(١) قاسيون : هو الجبل المشرف علي مدينة دمشق ، فيه آثار الأنبياء ، وفي سفحه مقبرة أهل الصلاح ، وهو جبل معظم مقدس . ياقوت : مصدر سابق ، ٤ / ٢٩٥ ؛ البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٣ / ١٠٥٧ .

(٢) النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ٢ / ٢٠٢ .

(٣) السخاوي : التبر المسبوك ، ص٢٥٤ ؛ ابن طولون : مفاكهة الخلان ، ق١ / ٢٧٠ .

(٤) السخاوي : التبر المسبوك ، ص٢٥٤ ؛ وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام ، تحقيق : بشار عواد معروف ، عصام الحرستاني ، أحمد الخطمي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٥م ، ٣ / ١٢٣٩ .

(٥) ابن سباط : صدق الأخبار ، حققه : عمر عبد السلام تدمري ، جروس بروس ، طرابلس ، ١٩٩٣م ، ٢ / ٨١٣ ، ٨١٤ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤ / ٢٦١ ؛ ابن حجر : بذل الماعون ، ص٢٣٨ .

(٧) ابن إياس : بدائع الزهور ، ٤ / ٣٠١ .

**رابعاً : الإجراءات القانونية :**

قامت السلطة المملوكية في بلاد الشام بإصدار عدة مراسيم ( قوانين ) للتخفيف من حدة آثار الكوارث الطبيعية ، ومنع التدهور الاقتصادي ، وكان من أهم هذه المراسيم :

**١- منع الاحتكار[١] وتسعير المواد الغذائية :**

لقد عرفت الدولة المملوكية سياسة الاحتكار التجاري ، وقد حذر "ابن خلدون" من الاحتكار ومفاسده فقال [٢] : " إن احتكار الزرع لتحين أوقات الغلاء مشئوم ، وأنه يعود على فائدته بالتلف والخسران ، وسببه – والله أعلم – أن الناس لحاجتهم إلى الأقوات مضطرون إلى ما يبذلون فيها من المال اضطراراً ؛ فتبقى النفوس متعلقة به بما لها سرّ كبير في وباله على من يأخذه مجاناً ، ولعله الذي اعتبره الشارع في أخذ أموال الناس بالباطل ... " .

وكان الاحتكار يقوم به التجار وقلة من الأمراء لزيادة الربح ، وكان هذا غالباً ما يحدث في الغلال ، حيث يتفق التجار على تخزين الغلال بكميات كبيرة حتى يقل وجودها في الأسواق ، مما يؤدي إلى تكالب الناس على شرائها بأسعار مرتفعة يحددها أولئك التجار [٣] .

وقد استغل بعض التجار الأزمات الاقتصادية التي اجتاحت بلاد الشام عقب

---

(١) الحكر : الجمع والإمساك ، والاحتكار حبس الطعام للغلاء ، ومدة الحبس أربعون يومياً ، وقيل شهراً ، وقيل أكثر من سنة . أحمد الشرباصي : المعجم الاقتصادي ، ص ١٩ ؛ مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، ١ / ١٩٦ .

(٢) العبر ، ١ / ٤٩٧ ، ٤٩٨ .

(٣) عثمان علي محمد عطا : الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي وأثرها السياسي السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٢م ، ص١٣٧ .

الكوارث الطبيعية ، فعمدوا إلى احتكار الغلال ، وبيعها للأهالي بأسعار مرتفعة ، ففي سنة ٧٣٦هـ ( ١٣٣٥م ) استغل التجار موجات القحط والجفاف فاحتكروا السلعة وامتنعوا عن بيعها للناس ، ومما زاد من جشعهم تجاوز المحتسبين عن تصرفاتهم [١] ، وبذلك أصبح الناس بين محنتين : القحط والجفاف من جهة ، وجشع التجار من جهة أخرى ، فلما علم السلطان الناصر محمد بن قلاوون بذلك أصدر مرسوماً ألزم فيه نواب بلاد الشام بفتح شون الغلال ، وبيع ما فيها على ألا يزيد سعر الغرارة من القمح على ثلاثين درهماً [٢] . وبهذا الإجراء توفرت الغلال في الأسواق ولم يعد الناس مضطرين لشرائها بأسعار مرتفعة .

ولما اشتد الغلاء في مدينة دمشق بسبب القحط والجفاف سنة ٧٩٠هـ ( ١٣٨٨م ) ، وبلغ سعر رطل الخبز ثلاثة دراهم ، قام السلطان بإصدار مرسوم نودي به في دمشق بأن يباع رطلان إلا ثلث بدرهم ، وكان يباع قبل المرسوم كل رطل بدرهم ، كمحاولة لخفض سعر القمح ، ويبدو أن ذلك الإجراء لم يأت بنتيجته المرجوة ، فحدث العامة نائب دمشق في أمر الخبز ، فأمر أن يباع كل رطلين بدرهم[٣] .

وعلى أثر موجة القحط والجفاف التي أصابت دمشق سنة ٨٩١هـ (١٤٨٦م) قام محتسب مدينة دمشق باحتكار الأقوات والسلع ، فلما علم النائب قجماس بذلك ، أصدر مرسوماً طالب فيه المحتكرين بإطلاق الغلال في الأسواق

(١) رغم أن الأصل في وظيفة المحتسب إلزام التجار ببيع السلع وفق أسعار السوق . الماوردي: الأحكام السلطانية ، ص٣٦٧ .

(٢) اليوسفي : نزهة الناظر ، ص٢٩٥ .

(٣) ابن قاضي شهبة : تاريخه ، ٣ / ٢٣٨ – ٢٤٢ .

وبيعها ، وإن لم يفعلوا ذلك نهبت مخازنهم [١] ، وبهذا الإجراء حلت المشكلة ، وانخفضت الأسعار .

**٢- إبطال المكوس [٢] والضرائب :**

وجُد في عصر سلاطين المماليك العديد من المكوس والضرائب التي لم تكن موجودة قبلهم ، وشملت حسب قول أحد الباحثين كل شيء إلا الهواء [٣] . وفي أوقات الكوارث الطبيعية والتي تسببت في العديد من الأزمات الاقتصادية لجأ سلاطين الدولة المملوكية إلى إبطال المكوس ؛ للتخفيف عن السكان ، ففي سنة ٧٢٣هـ ( ١٣٢٣م ) أبطل السلطان الناصر محمد بن قلاوون المكس المفروض على الغلال في بلاد الشام ؛ بسبب موجة القحط والجفاف التي اجتاحت البلاد [٤] .

ولما هاجمت أسراب الجراد بلاد الشام سنة ٧٢٤هـ ( ١٣٥٣م ) قامت السلطة المملوكية بإلغاء ضريبة مكس الأقوات ، والتي كانت تفرض على ما يباع من الأقوات ، وبلغت قيمتها ثلاثة دراهم ونصف على كل غرارة قمح ؛ وذلك

---

(١) البصروي : صفحات مجهولة من تاريخ دمشق في عصر المماليك المعروف بتاريخ البصروي ، تحقيق : أكرم حسن العلبي ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ( د . ت ) ، ص١٢٥ ؛ ابن طولون : مفاكهة الخلان ، ق٢/ ٧١ .

(٢) المكوس : مفردها مكس ، ضريبة تفرض على الإنتاج ، وعلى السلع الواردة ، والصادرة الموجودة في الموانى ، وكانت المكوس في عصر المماليك مقررة على البيوت ، والحوانيت ، والخانات ، والحمامات ، والأفران ، والطواحين ، والبساتين ، والمراعي ، ومصائد الأسماك ، والمعاصر ، والحجاج ، والمسافرين ، والمراكب ، والأغنام ، والجاموس ، والبقر ، والأفراح ، وغير ذلك . البلقي : التعريف ، ص٣٢٥ .

(٣) عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ، ط٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ١ / ٧٣ .

(٤) الغزي : نهر الذهب ، ٣ / ١٧٦ .

للتخفيف من شدة الضائقة الاقتصادية [١] .

وعندما اجتاحت موجة القحط والجفاف بلاد الشام سنة ٧٨٢هـ (١٧٨٠م) بسب قلة الأمطار ، وعزت الأقوات حتي وصل سعر غرارة القمح بدمشق مئتين وخمسين درهماً ؛ قامت السلطة المملوكية بتتبع الأماكن المتضررة من قلة الأمطار، وعملت على دعمها اقتصادياً ، وذلك بإصدار مرسوم بإبطال عدد من المكوس كضمان الملح ، وضمان الدقيق ، وسائر أنواع المكوس ؛ لتعين سكان المناطق المتضررة على اجتياز الأزمة الاقتصادية [٢] . كما قامت السلطة المملوكية بإبطال جميع الضرائب والمكوس المفروضة وخاصة ضريبة المشاهرة[٣] بسبب الطاعون الذي أصاب بلاد الشام سنة ٩١٩هـ ( ١٥١٣م ) [٤] .

ولم تكتفِ السلطة المملوكية بإلغاء المكوس ، بل كانت تلجأ أيضاً في أوقات الكواث إلى إلغاء بواقي المال الذي يتحصل من خراج الأراضي الزراعية ، كما حدث في سنوات ٦٨٩هـ ( ١٢٩٠م ) ، ٦٩٥هـ ( ١٢٩٥م ) ، ٧١٤هـ

(١) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، علق عليه ووضع حواشيه : محمود جيوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ٢ / ٤٤٠ ؛ المقريزي : السلوك ، ٣ / ٧٢ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٩ / ٤٥ .

(٢) ابن قاضي شهبة : تاريخه ، ٣ / ٣٩ ؛ ابن حجر : إنباء الغمر ١ / ٣١٩ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ١ ، ق٢/ ٥٣٢ .

(٣) ضريبة المشاهرة : هي الضريبة التي كانت تحصل في بداية كل شهر ، وسُميت هلالية ، لأنها تؤخذ مع بزوغ هلال كل شهر ، بعكس المال الخراجي الذي كان يحصل في كل سنة مرة واحدة ، وهذه الضريبة فرضت على المراعي ، ومصائد الأسماك ، ومزارع القصب ، =والأفران ، والطواحين ، وغيرها . النويري : نهاية الأرب ، ٨ / ٢٢٨ ، ٢٧١ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ٣ / ٤٦٧ ؛ دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص١٥٣ .

(٤) ابن إياس : بدائع الزهور ، ٤ / ٣٠٤ .

(١٣١٤م)[١].

ومن الضرائب التي ألغيت في أوقات الكوارث ضمان الموتى [٢] ، فعندما فشا الطاعون في بلاد الشام سنة ٧٤٩هـ ( ١٣٤٨م ) كثر الموتى ، وزاد ضمان الموتى جداً ، فتضرر الناس ولاسيما الفقراء ، فقد كان يؤخذ على الميت مبالغ كثيرة ، فرسم نائب السلطان بإبطال ضمان النعوش ، والمغسلين ، والحمالين ، لتسهيل نقل الموتى ودفنهم [٣] .

كما قامت السلطة المملوكية في بلاد الشام بإصدار مراسيم أخرى في أوقات الكوارث الطبيعية منها : تعويض المتضررين من الكوارث ، مثلما حدث في سنة ٦٨٣هـ ( ١٢٨٤م ) عندما اجتاح السيل مدينة دمشق ، وأدى إلى غرق كثير من الناس ، واقتلع الأشجار ، وأهلك الحيوان ، وذهب بسببه أموالٌ لا تحصى ، فقامت السلطة المملوكية بإصدار مرسوم ينص على تعويض كل من تضرر من جراء هذا السيل بمبلغ أربعمائة درهم [٤] . كما أقرت السلطة المملوكية تطبيق نظام التعويضات عن إصابة العمل ، فعندما يتعرض أحد العمال لإصابة تؤدي إلى عجزه عن مواصلة العمل أو وفاته ، كانت السلطة المملوكية تعوضه أو تعوض أسرته في حال وفاته ، فيحدثنا "ابن الجزري " عن أحد العمال سقط ومات أثناء عمله في ترميم الحائط القبلي من جامع دمشق الذي تهدم من جراء الزلازل سنة ٧٢٨هـ

---

(١) المقريزي : السلوك ، ٢ / ٢٢٠ ، ٢٨١ ، ٤٩٦ .

(٢) ضمان الموتى : هي الضريبة التي كانت تؤخذ من الناس لقاء تجهيز الموتى . دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص١٠٤ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤ / ٢٦١ ؛ ابن قاضي شهبة ، تاريخه ، ١ / ٥٤٦ ؛ ابن حجر : بذل الماعون ، ص٢٣٨ .

(٤) النويري : نهاية الأرب ، ٣١ / ١١٩ ، ١٢٠ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤ / ٢٤٨ المقريزي : السلوك ، ٢ / ١٨٥ .

( ١٣٢٨م ) بقوله[١] : " وبعد دفنه رُتّب لأولاده ثلاثون درهماً شهرياً ".

ومن الإجراءات الوقائية صدور مراسيم بإغلاق الأسواق في أوقات الكوارث حفاظاً على أرواح الناس ، فعندما حدث زلزال سنة ٧٤٤هـ (١٣٤٣م) في مدينة حلب غلقت سائر أسواقها [٢] ، وعندما انتشر الطاعون في مدينة دمشق سنة ٩١٩هـ ( ١٥١٣م ) واشتد أمره نودي في دمشق بأن لا يفتح أحد دكانه باستثناء الخبازين ، والطباخين [٣] .

كما صدر مرسوم بإطلاق سراح المساجين ، فعندما تفشي الطاعون في بلاد الشام سنة ٨٣٨هـ – ٨٤١هـ ( ١٤٣٤ – ١٤٣٧م ) ، وأدى إلي تدهور الأوضاع الاقتصادية ، والاجتماعية في البلاد ، أصدر السلطان الأشرف برسباي ( ٨٢٥ – ٨٤١هـ / ١٤٢٢ – ١٤٣٧م ) [٤] مرسوماً بإطلاق سراح المساجين من

---

(١) تاريخ حوادث الزمان ، ٢ / ٢٥٨ .

(٢) المقريزي: مصدر سابق ، ٣ / ٤٠٣ ، ٤٠٤ ؛ ابن قاضي شهبة : تاريخه ، ٢ / ٣٦٠ ، ٣٦١ .

(٣) ابن طولون : إعلام الورى ، ص١٥٩ ، ٢٠٣ .

(٤) هو : الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباي بن عبد الله الدقماقى الظاهري الجركسى ، سبي من بلاده وجُلب إلى مصر من قبل نائب ملطية مع هدية إلى الظاهر برقوق ، ثم =أعتقه ، وتنقلت به الأيام إلى أن صار ساقيا ، ثم ولي نيابة طرابلس ، ثم أمير مائة ومقدم ألف ، ثم داوداراً كبيراً ، تسلطن الأشرف سنة ٨٢٥هـ ، وطالت أيامه وحسُنت ، وعمّر المدرسة الأشرفية ، توفي سنة ٨٤١هـ . المقريزي : درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، حققه : محمود الجليلي ، ط ١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٢م ، ١ / ٤٥٦ ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ٣ / ٢٥٥ – ٢٧٦ ؛ مورد اللطافة ، ٢ / ١٥١ – ١٥٥ .

أصحاب الديون ، ودخل في هذا الإفراج أصحاب الجرائم [١] .

وقامت السلطة المملوكية أيضاً بإصدار عدة مراسيم لمنع التدهور الاقتصادي بعد حدوث الأوبئة والطواعين ، فعندما حدث طاعون سنة ٧٤٩هـ (١٣٤٨هـ ) في بلاد الشام ، وهلك على أثره عدد كبير من الفلاحين ، قامت السلطة المملوكية بالحد من حرية الفلاحين ومنعت انتقالهم من أرض إلى أخرى إلا بعد مرور ثلاث سنوات ، وإن فعل ذلك وتركها قبل مرور السنوات الثلاث أعيد لها بالقوة [٢] . كما استخدمت السلطة المملوكية القوة لإجبار من بقي على قيد الحياة من أصحاب المهن ولم يعد لمزاولة مهنته على العودة لمزاولتها [٣] . ونظراً لارتفاع الأجور لقلة الصناع والعمال بعد الطواعين التي أصابت البلاد أصدرت السلطة مرسوماً يرغم العمال على القبول بأجور معقولة غير مرتفعة [٤] .

**خامساً : هروب السكان إلى المناطق الآمنة :**

من الإجراءات الوقائية عند حدوث الكوارث الطبيعية ، هجرة السكان أو هروبهم إلى المناطق الآمنة ، فكانت بعض الكوارث التي شهدتها بلاد الشام تؤدي إلى ترك السكان أوطانهم المنكوبة ، والرحيل إلى مناطق خالية من العمران كالصحاري لضمان سلامتهم ، أو الهروب إلى المدن التي لم تصبها الكوارث ، وأحياناً يخرجون إلى البلاد القريبة منهم مثل مصر ، ففي سنة ٦٦٩هـ (١٢٦٩م) عندما جرفت السيول مدينة دمشق خرج الأهالي إلى رؤوس الجبال حاملين

(١) ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان ، ٣ / ٣٤٠ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور،٢٨٢/٢.

(٢) السبكي : معيد النعم ومبيد النقم ، ط١ ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، ص٣٣ .

(٣) المقريزي : السلوك ، ٤ / ٩٠ .

(٤) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٠ / ٢١٠ .

أطفالهم[١] ، وفي سنة ٧٠٢هـ ( ١٣٠٣م ) ضربت الزلازل بلاد الشام مدة أربعين يوماً ، فترك السكان بيوتهم وهاجروا إلى مناطق أكثر أمناً وأقاموا بها خيامهم [٢] .

ولما حدث جفاف في بلاد الشام سنة ٧٠٤هـ ( ١٣٠٤م ) نزح عدد كبير من السكان إلى مناطق أخرى ، حتى خلت ألفان وثمانمائة قرية من سكانها [٣] . وعندما جرف السيل عدداً كبيراً من البيوت في مدينة بعلبك [٤] سنة ٧١٧هـ ( ١٣٧١م ) وأصبح معظم سكانها دون مأوى ، نزحوا إلى المناطق المجاورة [٥] . كما خرج معظم سكان مدينة دمشق عندما جرفهم السيل سنة ٧١٩هـ (١٣١٩م ) إلى المناطق الآمنة[٦] . وعندما دمَّر السيل أعداداً كبيرة من البيوت في مدينة

(١) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، تحقيق : أبو هاجر محمد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ( د . ت ) ٣ / ٣١٩ ؛ اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ٤ / ١٢٩ .

(٢) النويري : نهاية الأرب ، ٣٢ / ٣٠٩ ؛ البرزالي : المقتفي ، ٣ / ٢٣٠ ؛ السيوطي : كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، تحقيق : محمد كمال عز الدين ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص٢٠٠ .

(٣) المقريزي : السلوك ، ٢ / ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

(٤) بعلبك : مدينة قديمة بها آثار عظيمة ، وهي تقع في قلب سهل البقاع ، وتحيط بها من الشرق والغرب جبال لبنان الشرقية والغربية ، وهي مركز قضاء بعلبك بمحافظة البقاع . البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١ / ٢٠٨ ؛ الشامي : موسوعة المدن العربية ، ص ١١٨ .

(٥) ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان ، ١ / ٤٧٢ ؛ الذهبي : دول الإسلام ، ٢ / ٤٥٤ ؛ الصفدي : نزهة المالك والمملوك ، ص٢٤٢ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤ / ١٧ ؛ البرزالي : المقتفي ، ٤ / ٣٨٩ .

عجلون [١] سنة ٧٢٨هـ ( ١٣٢٨م ) هرب أهلها إلى المناطق القريبة منها [٢] .

أما سكان مدينة حلب فقد أصابهم الذعر والخوف من جراء زلزال سنة ٧٤٤هـ ( ١٣٤٣م ) فاضطروا إلى ترك بيوتهم ، وخرجوا إلى الصحاري [٣] .

وفي سنة ٧٤٨هـ ( ١٣٤٧م ) تركت موجة القحط والجفاف آثاراً بالغة في كل من دمشق ، وحوران [٤] ، إذ هاجرت أعداد كبيرة من سكانهما ، وكانت هجرتهم هجرتهم باتجاهين ، سكان دمشق هاجروا إلى المناطق الشمالية حيث حلب ، أما سكان منطقة حوران فقد هاجروا إلى منطقة الساحل الشامي [٥] .

وعندما وقع الطاعون في بلاد الشام سنة ٧٤٩هـ ( ١٣٤٨م ) هاجر السكان من المناطق الموبوءة تخوفاً من العدوى إلى مناطق أكثر أماناً [٦] ، وقد أغفلوا فرض الحجر الصحي على المناطق الموبوءة عملاً بقول الرسول ( ﷺ ) : " الطاعون رجز أو عذاب أرسل على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً

(١) عجلون : مدينة جبلية علي السفوح الغربية لجبال عجلون وإلي الشرق من مجري نهر الأردن ، وعجلون مدينة صغيرة في محافظة إربد في الأردن. الشامي : موسوعة المدن العربية ، ص ١٢ .

(٢) ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ٢ / ٤٠٦ ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ٢ / ١٨٩ .

(٣) ابن الوردي : الديوان ، ص١٤٩ ؛ ابن قاضي شهبة : تاريخه ، ١ / ٣٦٠ ؛ ابن عبد الباسط : نيل الأمل ، ١ / ٨٧ .

(٤) حوران : كورة واسعة من أعمال مدينة دمشق ، تضم قرى كثيرة ومزارع . ياقوت : معجم البلدان ، ٢ / ٣١٧ ، ٣١٨ ؛ البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١ / ٤٣٥ .

(٥) ابن الوردي : تتمة المختصر ، ٢ / ٥١٦ ؛ ابن كثير : مصدر سابق ، ١٤ / ٣٠٦ ؛ ابن حبيب : مصدر سابق ، ٣ / ٧٤٨ .

(٦) ابن قاضي شهبة : مصدر سابق ، ١ / ٦٧٠ ؛ السخاوي : وجيز الكلام ، ص٣٥ .

منه " [١] . فقد خالفوا ما جاء في الحديث النبوي الشريف ، وهربوا خارج مناطق انتشار الوباء ، خوفاً على أنفسهم وذويهم ، ولو أخذوا بالحديث النبوي لنجحوا في التخفيف من ازدياد الطاعون ، وانتقاله من منطقة إلى أخرى .

وعندما أصاب القحط والجفاف مدينة حلب سنة ٧٧٥هـ ( ١٣٧٣م ) هاجر معظم سكانها إلى مدنية دمشق [٢] ، وقد صور "ابن صصري" كثرة أعدادهم بقوله [٣] : " وجاءت الناس من بلاد الشمال إلى بلاد دمشق مثل التراب " ، الأمر الذي أدى إلى حدوث أزمة اقتصادية خانقة في دمشق [٤] .

وتعد موجات القحط والجفاف التي اجتاحت بلاد الشام خلال سنوات ٧٩٧ – ٧٩٩هـ ( ١٣٩٤ – ١٣٩٦م ) من أكثرها آثاراً في هجرة السكان في تاريخ الدولة المملوكية ، إذ نزح أهل بلاد الشمال إلى دمشق في هجرات جماعية لم تحدث من قبل [٥] .

وعندما حدث جفاف في مدينة دمشق ، والكرك ، وحوران ، وغزة ، والقدس، والرملة ، سنة ٨٢٥هـ ( ١٤٢٢م ) هاجر معظم سكانها إلى البلاد المصرية [٦] .

## سادساً : إزالة آثار الكوارث الطبيعية :

تعاملت السلطة المملوكية في بلاد الشام مع الكوارث الطبيعية بكل جدية

---

(١) مسلم : المسند ، ٤ / ١٧٣٧م ؛ ابن حنبل : المسند ، ٣ / ٨٥ .

(٢) ابن طولون : إعلام الورى ، ص٢٧ .

(٣) ابن صصري : الدرة المضية في أخبار الدولة الظاهرية ، تحقيق : عارف أحمد عبد الغني ط١ ، دار سعد الدين للطباعة والنشر ، دار كنان للطباعة والنشر، دمشق ، سورية ، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م ، ص٢٠٧ .

(٤) نافذ الشوامرة : الكوارث الطبيعية ، ص١٤٠ .

(٥) ابن صصري : مصدر سابق ، ١٨٢ ؛ ابن قاضي شهبة : تاريخه ، ٣ / ٥٤٤ ، ٦١١ ، ٦٥٢ .

(٦) المقريزي : السلوك ، ٧ / ٥٦ .

ومسؤولية ، فقد حاولت الحد من أضرارها ، وتخفيف معاناة الناس من آثارها ، وإعمار ما خربته من منشآت ، وذلك عبر قيامها بالعديد من الإجراءات من أهمها:

**١- إزالة المخلفات الضارة للكوارث الطبيعية** :

قامت السلطة المملوكية بحملة واسعة لإزالة مخلفات الكوارث التي تسببت في تعطيل حركة المسافرين ، والتجار ، وتوقف حركة الملاحة في الأنهار ، فعندما اجتاحت السيول مدينة دمشق سنة ٦٨٣هـ ( ١٢٨٤م ) قامت السلطة المملوكية بحملة تنظيف واسعة للأنهار من مخلفات السيل التي تراكمت فيها ، كما بادر السكان بتنظيف الشوارع لتيسير حركة السير[١] .

ولما تعرضت بلاد الشام لتساقط كثيف للثلوج سنة ٧١٦هـ ( ١٣١٦م ) اهتمت السلطة المملوكية اهتماماً فائقاً لإزالته من الطرقات ، وخصصت الأموال اللازمة للعاملين من أجل ذلك، بالإضافة إلي تطوع أعدد كبيرة من أهالي حمص[٢]، وحلب ، وحارم [٣] ، وبعلبك بكل ما لديهم من عتاد للعمل على فتح الطرقات ، وتسهيل حركة السفر ، والنقل ، وقد أخذ ذلك منهم عدة أيام [٤] .

وعندما تساقطت الأمطار الغزيرة على مدينة دمشق سنة ٧٣١هـ (١٣٣١م)

---

(١) النويري : نهاية الأرب ، ٣١ / ٨٠ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول ، ٨ / ٧ ، ٨ ؛ المقريزي : السلوك ، ٢ / ١٨٥ .

(٢) حمص : بلدة مشهورة بين دمشق وحلب ، ولها قلعة حصينة في طرفها القبلي ، وهي مركز محافظة حمص في سورية ، وهي قريبة من الحدود السورية اللبنانية . ياقوت : معجم البلدان ، ٢ /٣٠٢ ؛ البغدادي : مراصد الاطلاع ،١ / ٤٢٥ ؛ الشامي : موسوعة المدن العربية ، ص ٥٥ .

(٣) حارم : حصن وكورة جليلة من أعمال حلب ، ناحية أنطاكية . ياقوت : مصدر سابق ، ٢٠٥/٢ ؛ البغدادي : مصدر سابق ، ١ / ٣٧١ .

(٤) النويري : مصدر سابق ، ٣٢ / ١٧٨ ؛ المقريزي : مصدر سابق ، ٢ / ٥١٥ .

انقطعت الطرق فيها ، فعرض العامة على نائب السلطنة الأمير تنكز تطوعهم للمساعدة في تسوية الطرقات المتضررة من الأمطار ، وحضر ما يقارب من خمسة آلاف من الفلاحين من القرى ، والضياع القريبة إلى المدينة بدوابهم وعبيدهم ، بعد أن جمعوا الحطب اللازم لتسوية الطرقات ، وبناء الجسور ، وظلوا يعملون مدة أربعة أيام حتى انتهوا من ذلك [١] .

وعندما تساقطت الثلوج على مدينة دمشق سنة ٧٤٥هـ ( ١٣٤٥م ) ، وتكاثفت على أسطح المنازل ، قام الناس بنقلها من الأسطح إلى الأزقة فسدت الطرق ، وتعطلت معايش الناس ، فأمرت السلطة المملوكية بإزالته من الطرقات لفتحها [٢] ، وذكر" المقريزي " المبالغ التي أنفقتها الدولة لإزالة تراكم الثلوج فقال [٣] : " وفيها كثر سقوط الثلج بدمشق حتى خرج عن العادة ، وأنفقوا على شيله من الأسطحة ما ينيف على ثمانين ألف درهم ؛ فإنه أقام يسقط أسبوعين " .

**٢- إعمار وترميم ما هدمته الكوارث الطبيعية** :

كانت السلطنة المملوكية متمثلة في نوابها في بلاد الشام تتابع أحداث الكوارث ، وما يتبعها من أضرار ، وتعمل على حصر الخسائر في الأنفس ، والممتلكات المادية ، ومن ثم تكتب تقريراً عن حجم الأضرار التي خلفتها هذه الكوارث ، وترسله إلي المسؤولين في الدولة ؛ لتقدير حاجة المناطق المتضررة للإعمار، ثم تقوم بإعادة إعمارها . والأمثلة على كتابة مثل هذه التقارير كثيرة منها : ما حدث في سنة ٦٨٥هـ ( ١٢٨٦م ) عندما تعرضت مدينة حمص لإعصار

(١) ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان ، ٢ / ٤٦٧ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤ / ٢٤٨ ؛ ابن قاضي شهبة : تاريخه ، ١ / ٤٣ ؛ السخاوي : وجيز الكلام ، ١ / ٦١ .

(٣) السلوك ، ٣ / ٤٢١ .

شديد ، فقام الأمير بدر الدين بكتوت [١] بكتابة تقارير حول الأضرار التي أحدثها الإعصار وإرسالها إلى نائب السلطنة في دمشق [٢] .

ولما حدثت زلازل ، وسيول سنة ٦٩٢هـ ( ١٢٩٣م ) في مدينة الرملة قامت السلطة المملوكية بتكليف والي الرملة بعمل تقارير حول حجم الضرر الذي وقع جراء الزلازل في مدينة الرملة [٣] . ويبدو أنها كلفته أيضاً بكتابة تقارير عن حجم أضرار السيول ؛ لأنه لا يتصور إهمال السلطة تكليف الوالي كتابة تقارير عن أضرار السيول ، وهي قد حدثت في التاريخ نفسه .

ولما تعرضت مدينة طرابلس لتساقط كثيف للثلوج ، وهبوب رياح عاصفة سنة ٧١٨هـ ( ١٣١٨م ) قامت السلطة المملوكية بإرسال موظفين مختصين لكتابة تقارير عن حجم الأضرار التي خلفتها هذه الكوارث [٤] .

وقد أورد "ابن الجزري" نسخة من كتاب والي الولاة بالأعمال القبلية إلى نائب دمشق يصور فيه حجم الخسائر والأضرار التي أصابت مدينة عجلون من جراء السيل الذي أصابها سنة ٧٢٨هـ ( ١٣٢٨م ) [٥] .

وفي سنة ٨٨٦هـ ( ١٤٨٤م ) ضربت صاعقة مدينة القدس فكتب نائبها

---

(١) هو : بدر الدين بكتوت الأقرعي ، ولي شد دمشق في أيام الظاهر بيبرس ، وعزل أيام السعيد ابنه ، وولي شد الصحبة للمنصور قلاوون ، وكان ظالماً جباراً لا يقبل الرشوة ، توفي سنة ٦٩٤هـ . الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١٠ / ١٢٦ ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ٣ / ٤١١ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٣ / ٣٦١ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول ، ٨ / ٣٧ ، ٣٨ ؛ المقريزي : السلوك ، ٢ / ١٩٣ .

(٣) ابن الفرات : مصدر سابق ، ٨ / ١٥٤ ؛ المقريزي : مصدر سابق ، ٢ / ٢٤٠ .

(٤) النويري : نهاية الأرب ، ٣٢ / ٢٨٧ .

(٥) تاريخ حوادث الزمان ، ٢ / ٢٧٤ – ٢٧٦ .

محضراً بما حدث فيها من أضرار [١] .

وبناءً على التقارير السابقة وغيرها قامت السلطة المملوكية بتكليف المسؤولين بإصلاح وإعمار ما هدمته الكوارث ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها : إعمار الأبنية والأبراج التي دمرت في مدينة الكرك جراء الزلازل التي ضربتها سنة ٦٦٠هـ ( ١٢٦١م ) [٢] . كما قام السلطان الظاهر بيبرس بهدم برجين من أبراج قلعة الكرك ، وبنى مكانهما برجين جديدين كخطوة وقائية على أثر سقوط أحد أبراجها في سنة ٦٧٣هـ ( ١٢٧٤م ) من جراء الزلزال الذي ضربها في تلك السنة[٣] .

وفي سنة ٦٨٥هـ ( ١٢٨٦م ) أمر السلطان المنصور قلاوون بترميم باب الجابية [٤] ، وجسر الفراديس [٥] ، والحوانيت المتواجدة عليه في مدينة دمشق ،

---

(١) السخاوي : الذيل التام على دول الإسلام ، تحقيق : حسن إسماعيل مروة ، محمود الأرناؤوط ، ط١ ، مكتبة العروبة ، الكويت ، دار ابن العماد ، بيروت ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ٢ / ٢٠ ؛ العليمي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، تحقيق : عدنان يونس عبد المجيد نباته ، مكتبة دنديس ، عمان ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ٢ / ١٩٢ ؛ ابن شاهين : نيل الأمل ، ٥ / ٢٤٢ .

(٢) القلقشندي : مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٦٤م ، ٢ / ١١٤ .

(٣) ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ٣ / ٤٥٩ .

(٤) باب الجابية : من أبواب مدينة دمشق في الجهة الغربية ، بني في العهد الروماني ، وينسب إلى قرية الجابية ، هدم في بداية الدولة العباسية ، وبقي على حاله حتى أعاد بناءه السلطان نور الدين زنكي سنة ٥٦٠هـ . ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق: عمر غرامة العمري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م ، ٢ / ١٨٧ .

(٥) جسر الفراديس : جسر من جسور مدينة دمشق ، أقيم بجانب باب الفراديس ، ولذلك سمي بهذا الاسم . ابن عساكر ، نفسه ، ٢ / ١٨٢ .

جراء السيل الجارف الذي أصابها [١] .

وفي سنة ٦٨٦هـ ( ١٢٨٧م ) قام السلطان قلاوون بإزالة ما تبقى من برج اللاذقية [٢] الذي تهدم بفعل الزلزلة في تلك السنة ، وأقام برجاً آخر ، وعُد من أصعب المنشآت العمرانية تشييداً لوقوعه وسط البحر [٣] .

وعندما حدث زلزال سنة ٧٠٢هـ ( ١٣٠٣م ) بادر السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى إعادة بنيان وترميم ما دُمَر ، فرمم قلعة صفد ، والجامع الأموي في دمشق ، وأنفقت الدولة أموالاً كثيرة في الإعمار والترميم [٤] .

وعندما وصلت أنباء سيل عجلون سنة ٧٢٨هـ ( ١٣٢٨م ) وما سببه من خراب إلى الأمير تنكز نائب دمشق ، أسرع بندب من يقوم بترميم ما تهدم من مدينة عجلون ، والوقوف إلى جانب سكانها في محنتهم ، فأعيد بناء الأسواق ، والقياسر، والطواحين ، والحمامات [٥].

وفي سنة ٧٤٤هـ ( ١٣٤٣م ) انتدبت السلطة المملوكية مجموعة من الأمراء لإعمار ما تهدم من قلاع في بلاد الشام بفعل الزلازل ، وخصصت مبالغ من

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٣ / ٣٦١ .

(٢) اللاذقية : مدينة في ساحل بحر الشام ، تعد في أعمال حمص ، وهي من أكبر المدن السورية الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، تشتهر بالعديد من الصناعات الغذائية ، والكيماوية . ياقوت : معجم البلدان ، ٥ / ٥ ؛ الشامي : موسوعة المدن ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٣) أبو الفدا : المختصر ، ٢ / ٣٥٧ .

(٤) البرزالي : المقتفي ، ٣ / ٢٣٠ ؛ المقريزي : السلوك ، ٢ / ٣٦٩ .

(٥) ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان ، ٢ / ٢٧٣ – ٢٧٦ ؛ ابن الوردي : تتمة المختصر ، ٢ / ٢٩٠ ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ٢ / ١٨٩ ، ١٩٠ .

الأملاك الديوانية [١] للإنفاق عليها [٢] . كما قامت السلطة المملوكية في سنة ٧٤٥هـ ( ١٣٤٥م ) بتجديد الجامع الذي بناه الناصر محمد بن قلاوون والمعروف بالجامع الناصري ، والذي تعرض لفيضان مياه نهر طرابلس مرات عدة [٣].

وعندما حدثت زلازل في بلاد الشام سنة ٨١١هـ ( ١٤٠٨م ) بادرت السلطة المملوكية إلى إصدار التعليمات بإلزام الناس بعمارة ما خرّب جراء هذه الزلازل ، وخاصة المدارس المتضررة في مدينة دمشق [٤] .

وفي سنة ٨٨٦هـ ( ١٤٨٤م ) ضربت صاعقة مدينة القدس فشب الحريق في قبة الصخرة بسبب الصاعقة ، فبعث السلطان قايتباي الصناع لإعمار ما احترق من قبة الصخرة " فجدد عمارته ؛ فجاءت في غاية الحسن " [٥] .

وكان للعامة في مدينة القدس دور في إصلاح ما تهدم من جراء الكوارث الطبيعية ، فعندما هدمت منارة أحد المساجد في القدس سنة ٨٦٢هـ (١٤٥٨م) جراء الزلزال الذي وقع في تلك السنة ، سارع أهل المدينة إلي إحضار ما لديهم من الأموال ، ومواد البناء للعمل على إعادة بناء المنارة ، وظلوا يعملون ليلاً ونهاراً بكل ما لديهم من طاقات حتى أعادوا بناءها في خلال أيام بأفضل مما كانت عليه من

---

(١) الأملاك الديوانية : هي الأملاك التي تخضع للدولة وتسجل في دواوين الدولة . دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص٢٣ .

(٢) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ٣ / ٥٨ ؛ المقريزي : السلوك ، ٣ / ٤٠٤ ؛ ابن قاضي شهبة: تاريخه ، ١ / ٣٦٠ ، ٣٦١ .

(٣) ابن الوردي : تتمة المختصر ، ٢ / ٢٤٠ ؛ ابن قاضي شهبه : مصدر سابق ، ١ / ٤١٧.

(٤) المقريزي : مصدر سابق ، ٦ / ٢١٣ ، ٢١٤ ؛ ابن شاهين : نيل الأمل ، ٣ / ١٥١ .

(٥) السخاوي : الذيل التام ، ٢ / ٢٠ ؛ العليمي : الأنس الجليل ، ٢ / ١٩٢ ؛ ابن شاهين : مصدر سابق ، ٥ / ٢٤٢ .

قبل [١] .

**سابعاً :الإجراءات الاجتماعية :**

قامت السلطة المملوكية في بلاد الشام ببعض الإجراءات الوقائية التي تحافظ على المجتمع أثناء حدوث الكوارث الطبيعية ، وكان من أهم هذه الإجراءات:

**١- معالجة الظواهر السيئة وحفظ الأمن :**

ترتب على حدوث الكوارث المجاعات وانتشار الفقر ، مما أدى إلى ظهور بعض الظواهر السيئة في المجتمع الشامي مثل : التسول ، والسرقة ، وأحياناً حدوث جرائم القتل ، فقامت السلطة المملوكية في أوقات المجاعات بتوزيع الفقراء على الأمراء ، والأغنياء ، والتجار للتكفل بإطعامهم ، وتوزيع الأموال عليهم في بعض الأوقات ، ففي سنة ٦٦٢هـ ( ١٢٦٣م ) لما ضربت بلاد الشام موجة من القحط والجفاف ، ونتج عنها ارتفاع في الأسعار ، أمر السلطان الظاهر بيبرس بتوزيع الفقراء والحرافيش [٢] على الأمراء ، وإلزامهم بدفع مؤنة ثلاثة أشهر ، وأخذ لنفسه خمسمائة منهم [٣] .

ولما حدث الطاعون سنة ٧٧٦هـ ( ١٣٧٤م ) أمرت السلطة المملوكية

---

(١) العليمي : الأنس الجليل ، ٢ / ٤٩ ، ٥٠ ؛ ابن شاهين : نيل الأمل ، ٦ / ٤٨ .

(٢) الحرافيش : لفظ أطلق في العهد المملوكي على العيّارين ، والشُطار ، والزُعر ، وشمل هذا المصطلح الطبقة الدنيا في المجتمع المملوكي ، وكانوا ينتشرون في الأسواق والحمامات ، ومعظمهم كانوا متسولين ، وفيهم عاهات ، يلبسون ملابس بالية ، وهم من مُفتعلي الفتن في العصر المملوكي . السبكي : معيد النعم ، ص١٤٨ ؛ مصطفي عبد الكريم الخطيب : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ص١٤١ .

(٣) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص١٨٨ – ١٩٠ ؛ بيبرس المنصوري : مختار الأخبار، ص٢٧ .

بتوزيع الفقراء على الأمراء [١] . وفي سنة ٧٩٦ – ٧٩٨هـ ( ١٣٩٤ – ١٣٩٦م ) قامت السلطة المملوكية بتوزيع الطعام على الفقراء ، ورصدت لكل فقير لم يأخذ الطعام درهمًا ورغيفًا ، ومن لم يحصل على الخبز وأخذ طعامًا يُصرف له نصف درهم، ومن لم يأخذ شيئاً كان يصرف له درهم ونصف يومياً [٢] وبناءً على هذه الإجراءات لم يعد للفقراء والحرافيش مبررٌ للتسول والسرقة ، لذا أتبعت السلطة المملوكية هذه الإجراءات بإجراءات أخرى تنص على معاقبة المتسولين ، والسراق ، ففي سنة ٧٤٨هـ ( ١٣٤٧م ) حدثت مجاعة بسبب القحط والجفاف ، فقام الحرافيش بسرقة الخبز من حوانيت الخبازين ، ونشروا الزعر والخوف بين السكان ، الأمر الذي دفع نائب الشام الأمير أرغون شاه [٣] بمعاقبة السارقين ، فقطع أيدي وأرجل ثمانية عشر منهم ، وسمَّر [٤] سبعة عشر آخرين ، ليكونوا عبرة ، وفرَّ عدد كبير منهم خوفاً من العقوبة [٥] .

وفي سنة ٧٧٦هـ ( ١٣٧٤م ) أمرت السلطة المملوكية بمنع التسول ،

---

(١) ابن قاضي شهبة : تاريخه ، ٢ / ٤٤٧ ؛ السخاوي : الذيل التام ، ١ / ٢٧٣ ؛ ابن شاهين : نيل الأمل ، ٢ / ٨١ .

(٢) المقريزي : السلوك ، ٥ / ٣٨٤ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول ، ٩ / ٤٣٢ ، ٤٣٣ ؛ ابن الصيرفي : نزهة النفوس ، ١ / ٤٢٤ – ٤٢٦ .

(٣) هو : أرغون شاه الناصري ، من مماليك الناصر محمد بن قلاوون ، ولي الإستادارية في زمن المظفر حاجي ، ثم ولي نيابة صفد سنة ٧٤٧هـ ، ثم نيابة حلب سنة ٧٤٨هـ ، ونيابة دمشق في نفس العام ، وعظم أمره ، فكان لا يُرد له أمرٌ ، قتل سنة ٧٥٠هـ . الصفدي : أعيان العصر ، ١ / ٤٥٧ – ٤٦١ ؛ الوافي بالوفيات ، ٨ / ٢٢٨ – ٢٣٠ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ١ / ٤١٥ ، ٤١٦ .

(٤) التسّمير : عقوبة تقضي بتعرية المحكوم عليه من الثياب ، ثم يربط إلى خشبتين على شكل صليب ، وتدق أعضاؤه في الخشب بواسطة مسامير غلاظ . سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام ، ط٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص٤٠٨ .

(٥) ابن الوردي : تتمة المختصر ، ٢ / ١٦ ؛ الصفدي : أعيان العصر ، ١ / ٤٦٠ ؛ ابن صصري : الدرة المضية ، ص٢٠٤ .

وأصدرت مرسوماً لنواب بلاد الشام بصلب من وجدوه يشحذ من الحرافيش [١] . وكان أعوان المحتسب يقومون بحماية الأفران من نهب الحرافيش الذين استغلوا الكوارث وقاموا بخطف الخبز ونهبه من الأسواق ، ومن على رؤوس الحمالين سنة ٨٤٠هـ ( ١٤٣٦م ) [٢] .

وعندما شكل الشحاذون عبئاً على السكان والدولة سنة ٨٥٥هـ ( ١٤٥١م ) صدر مرسوم بعدم التصدق على أي شحاذ أو حرفوش ، ومن وجد يسأل في الأسواق يعذب ، ويسجن ، وذلك بسبب إلحاحهم بالسؤال وتكرارهم حتى ملَّ الناس منهم [٣] .

وكان للعامة دور في حفظ الأمن في أوقات الكوارث ، فقد أثرت موجات القحط والجفاف التي اجتاحت بلاد الشام على الحالة الاقتصادية ، فكثرت المجاعات وظهرت بعض حوادث القتل ، الأمر الذي أدى إلى انتشار الرعب والخوف بين السكان ، وانعدام الأمن ، ففي سنة ٦٩٥هـ ( ١٢٩٦م ) عثر في مدينة دمشق على جثة حارس الدرب [٤] مقتولاً ، ولم يعرف المسؤولون من قتله فقام سكان المدينة بتشكيل حركة شعبية بالاتفاق مع نائب السلطة في دمشق ، لحفظ الأمن والبحث عن القتلة ، وخلال عدة أيام من المراقبة للأحياء والشوارع ، تم القبض على شخص فقير الحال ، تبين بعد التحقيق معه أنه مسؤول عن قتل الحارس[٥].

---

(١) ابن قاضي شهبة : تاريخه ، ٢ / ٤٤٤ .

(٢) ابن الصيرفي : نزهة النفوس ، ٢ / ١٨٠ .

(٣) السخاوي : الذيل التام ، ٢ / ٨٤ .

(٤) حارس الدرب : ظهر منصب حارس الدرب في العصر المملوكي ، وأوكل إليه حراسة الطرق، وأن ينصح لأهل الدرب ، ويسهر عليهم إذا ناموا ، وينبه النوام إذا تعرضوا لحريق أو سيل أو سرقة . ابن طولون : نقد الطالب لزغل المناصب ، حققه : محمد أحمد دهمان ، خالد محمد دهمان ، نزار أباظة ، ط١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص١٩٢ .

(٥) ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان ، ١ / ٢٨٥ .

ومن الظواهر السيئة التي انتشرت بكثرة في أوقات الكوارث ، ظاهرة الغش وقامت السلطة المملوكية في بلاد الشام بالتصدي لهذه الظاهرة ، ففي سنة ٧٤٠هـ (١٣٣٩م ) انتشرت ظاهرة الغش في الخبز ، حيث أصبح أصحاب الطواحين يقومون بإضافة الحمص ، والشعير ، والفول إلى القمح ، ويعجنون منه ليباع خبزاً، فقامت السلطة المملوكية بالقبض عليهم ، ومعاقبتهم بقطع أيديهم [١] .

وأما ظاهرة الغش في العملة فرغم وجودها طوال العصر المملوكي ، إلا أنها زادت في أوقات الكوارث ظناً من مزيفي النقود أن السلطات مشغولة عنهم وأنهم بعيدين من العقاب ، ففي سنة ٨٢٩هـ ( ١٣٢٨م ) قامت السلطة المملوكية بمنع التعامل بالنقود المغشوشة ، ومعاقبة من يقوم بذلك ، وأصدرت نقوداً جديدة بدلاً من النقود الفاسدة [٢] ، وتشددت في معاقبة من يعملون على غش النقود وتزييفها ، وعوقبوا بقطع أيديهم [٣] .

وفي سنة ٨٦٢هـ ( ١٤٥٧م ) تعقبت السلطة المملوكية مزيفي النقود وأمرت بتوسيطهم [٤] أو قطع أيديهم [٥] .

(١) ابن الصيرفي : نزهة النفوس ، ٢ / ٣٥٨ .

(٢) ابن حجر : إنباء الغمر ، ٣ / ٤٤٥ ؛ ابن الصيرفي : مصدر سابق ، ٣ / ١١٦ .

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٦ / ١٠٢ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، ٢/٣٤٤ .

(٤) التوسيط : شكل من أحكام الإعدام في العصر المملوكي ، وطريقته بأن يعرى الشخص من الثياب ، ثم يشد إلى خشبة مطروحة على الأرض ، ويضرب بالسيف تحت سرته بقوة ضربة تقسم جسمه نصفين ؛ فتنهار أمعاؤه إلى الأرض . سعيد عاشور : العصر المماليكي ، ص٤١٠ ؛ محمد أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص٤٨ .

(٥) ابن إياس : بدائع الزهور ، ٢ / ٣٤٤ .

**٢- إبطال المفاسد الاجتماعية** :

من الإجراءات التي اتخذتها السلطة المملوكية عند حدوث الكوارث إغلاق الأماكن المخصصة لارتكاب كل أنواع الفسوق ، والفجور ، ففي سنة ٦٦٣هـ (١٢٦٤م ) أغلق السلطان الظاهر بيبرس بيوت الزنا ، وحارب البغاء ، وأحرق بيوت المسكرات ، وأراق الخمور [١] . وعندما جرف السيل معظم بلاد الشام سنة ٦٦٤هـ ( ١٢٦٥م ) أغلقت الحانات التي كانت تبيع الخمر ، والحشيش ، وأنزلت العقوبة على من تعاطاهما ؛ وعُزِّر كل من وجد سكراناً [٢] .

وعندما اجتاحت بلاد الشام السيول سنة ٧١٧هـ ( ١٣٢٠م ) كتب السلطان الناصر محمد بن قلاوون لنواب الشام بإبطال الخمور، واستتابة أهل الفواحش ؛ فعمل ذلك في سائر مدن الشام [٣] ، وفي سنة ٧٢٠هـ ( ١٣٢٠م ) زوجت آلاف من الخواطئ [٤] . ورغم المبالغة في هذا العدد إلا أنه يدل على حرص الدولة على إبطال هذه المفاسد .

وفي ظل تلك المحن التي نزلت بالناس في بلاد الشام أعلن قسم منهم التوبة لله – سبحانه وتعالى – كي يخفف عنهم ما لحق بهم من كرب ، وأغلقوا أماكن الفسق والفجور ، فعندما تفشى الطاعون في بلاد الشام سنة ٨٤١هـ (١٤٣٧هـ ) أظهر أهلها التوبة ، فأغلقوا حانات الخمارين ، ومنعوا البغايا من ارتكاب الفاحشة [٥] . وعندما حدث طاعون سنة ٩١٩هـ ( ١٥١٣م ) صدرت الأوامر من السلطة

---

(١) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص٢٢٨ ؛ المقريزي : السلوك ، ٢ / ٣٨ .

(٢) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ، ص٢٦٦ ؛ المقريزي : مصدر سابق ،٢ / ٥٩ ؛ ابن إياس : مصدر سابق ، جـ١ ، ق١/ ٣٢٦ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤ / ٩٤ .

(٤) الذهبي : دول الإسلام ، ٢ / ٢٦٠ .

(٥) المقريزي : السلوك ، ٧ / ٣٤٧ .

المملوكية بإغلاق أماكن بيع النبيذ ، والحشيش ، ومنع النساء الساقطات من فعل الفاحشة [١] .

وقد ربطت السلطة المملوكية بين ظهور الأوبئة والطواعين ، وفساد الأخلاق وانحطاط القيم في المجتمع ، فقامت بإجراء منعت فيه خروج النساء بالملابس ذات الأكمال الطوال ، والعراض ، والملابس الحريرية والمزركشة ، فعندما تفشى الطاعون في سنة ٧٤٩هـ ( ١٣٤٨م ) وأثر على مدينة دمشق بشكل كبير ، أصدر السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ( ٧٤٨ – ٧٥٢هـ / ١٣٤٧ – ١٣٥٤م ) [٢] مرسوماً بمنع خروج النساء إلى الشوارع ، والأماكن العامة بمثل هذه الملابس ، اجتهاداً منه بأن خروجهن بهذه الملابس أثر في فساد الأخلاق ، وانحطاط القيم في المجتمع ، وجاء الطاعون عقاباً من الله – سبحانه –على هذه التصرفات،واستمر هذا الحظر حتى سنة٧٥١هـ(١٣٥٠م) [٣]

وعندما حدث الوباء سنة ٨٤١هـ ( ١٤٣٧م ) أشار الفقهاء على السلطان الأشرف برسباي بمنع النساء من المشي في الأسواق ، ومنع المتبرجات من الخروج ، ولكن السلطان أمر بمنع النساء من الخروج مطلقاً ؛ لأن الطاعون عقابٌ من الله للناس بسبب ما يقترفونه من الذنوب [٤] .

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ٤ / ٣٠٣ .

(٢) هو : الملك الناصر ناصر الدين حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، تسلطن بعد أخيه السلطان حاجي سنة ٧٤٨هـ ، وخلع بأخيه الملك الصالح صالح سنة ٧٥٢هـ ، وعاد إلى السلطنة ثانياً سنة ٧٥٥هـ ، واستمر حتى قتل سنة ٧٦٢هـ . الصفدي : أعيان العصر ، ٢/٢٤٨ – ٢٥٠ ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ٥ / ١٢٥ – ١٣١ ؛ مورد اللطافة ، ٢ / ٨٥ – ٩٤ .

(٣) ابن قاضي شهبة : تاريخه ، ٣ / ٣٣ .

(٤) ابن الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣ / ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

**٣- توقف الاحتفالات والمناسبات الدينية والاجتماعية :**

أدت الكوارث الطبيعة التي اجتاحت بلاد الشام إلى تعطيل بعض مظاهر الاحتفالات الدينية والاجتماعية ، فمن الاحتفالات الدينية التي كان يهتم بها المسلمون عامة وأهل الشام خاصة ، إحياء الاحتفال بعيد الفطر ، حيث كان الناس يسهرون ليلة العيد حتى الصباح يستمعون لقراءة القرآن الكريم ، ويرددون الأذكار ، وفي الصباح يلبسون الملابس الجديدة ، ويتوجه الرجال لأداء صلاة العيد في المواكب ، وهم يهللون ويكبرون ، وبعد الصلاة يتبادلون التهنئة بالعيد[١] ولكن هذا الاحتفال كان يتوقف في أوقات الكوارث خاصة عند تفشي الأوبئة والطواعين ، فكان الناس يخافون من انتشار العدوى ، بالإضافة إلى حزنهم على من مات من هذه الأوبئة ، فمثلاً عندما تفشى الطاعون سنة ٨٤١هـ ( ١٤٣٧م) توقف الناس عن إقامة الاحتفالات بعيد الفطر ، وكان هذا العيد كما وصفه " ابن إياس" [٢] : " من أنكد الأعياد على الناس " ، فقد نزعت البهجة والسرور من صدور الناس بسبب ما أصابهم من جراء هذا الطاعون .

وقد أدى الوحل الذي حدث بمدينة دمشق سنة ٧٥٠هـ ( ١٣٥١م ) بسبب تساقط الأمطار الغزيرة إلى توقف صلاة عيد الأضحى ، واختفاء بعض مظاهر الاحتفال عند سكان المدينة بالعيد ، كذبح الأضاحي ، ولبس الثياب الجديدة ، وتزين النساء [٣] .

---

(١) قاسم عبده قاسم : دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي في عصر سلاطين المماليك ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص٩٧ .

(٢) بدائع الزهور ، ٢ / ١٨٣ ؛ ابن شاهين : نيل الأمل ، ٥ / ١٢ .

(٣) ابن قاضي شهبة : تاريخه ، ١ / ٥٧٤ .

ومن المناسبات الدينية التي كان يحتفل بها أبناء مدن بلاد الشام ، عودة الحجاج من الأماكن المقدسة ، فقد كانوا يستقبلونهم حاملين الشموع ، والقناديل والمشاعل ، ولكن تساقط الأمطار الغزيرة أحياناً في موسم الحج ، أثر بشكل واضح في اختفاء هذه المراسم ، ففي سنة ٧٥٨هـ ( ١٣٥٧م ) دخل الحجاج مدينة دمشق دون علم السكان بوصولهم ؛ بسبب شدة الوحل وغزارة الأمطار ، فحرم الناس من الاحتفال بفرحة وصولهم إلى ديارهم [١] .

وكان أهالي بلاد الشام يحيون ليلة الإسراء والمعراج بإقامة الاحتفالات في المساجد رجالاً ونساءً ، حيث كانت تعلق في أرجاء المدن الشامية المشاعل ، والفوانيس ، والشموع ، وتفرش البسط داخل المساجد ، وعليها الأواني مملوءة بالمشروبات ، ويستمعون إلى القراء وهم يرتلون القرآن الكريم ، وبعض المدائح النبوية [٢] ، ولكن تفشي الطاعون كان يؤدي إلى توقف الاحتفالات بهذه المناسبة، كما حدث في سنة ٧٤٩هـ ( ١٣٤٨م ) عندما تفشى الطاعون في بلاد الشام لم يحضر الأهالي ، ولا رجال الدين إلى المسجد الأموي في دمشق للاحتفال على عادتهم من كل عام خوفاً من العدوى والإصابة بالمرض [٣] . كما انشغل الناس في مدنية دمشق عن إضاءة المشاعل ، والاحتفال بليلة النصف من شهر جمادى الآخرة ؛ بسبب المجاعات الشديدة في المدينة الناتجة عن موجة القحط والجفاف التي اجتاحت البلاد سنة ٧٤٨هـ ( ١٣٤٧م ) [٤] .

(١) ابن قاضي شهبة : نفسه ، ٢ / ١١٥ .
(٢) قاسم عبده قاسم : دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي ، ص٩٩ .
(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤ / ٣١٢ .
(٤) ابن كثير : نفسه ، ١٤ / ٣٠٦ .

وقد أدى تفشي الطاعون في بعض السنوات إلى توقف حفلات الأعراس ، ففي سنة ٧٤٩هـ ( ١٣٤٨م ) عندما تفشى الطاعون بالبلاد الشامية ، توقفت مناسبات الأفراح ، ولم يسمع أي غناء طيلة فترة تفشيه ، وقد عبر "المقريزي" عن ذلك بقوله [١] : " وأبطلت الأفراح والأعراس من بين الناس ، فلم يُعْرف أن أحداً عمل فرحاً مدة الوباء ، ولا سُمع صوت غناء ".

وغالباً ما كانت مراسيم الدفن تتوقف أثناء انتشار الأوبئة الفتاكة لكثرة الوفيات ، الأمر الذي لا يمكن معه القيام بمثل هذه العادات والتقاليد ، والانصراف إلى الإسراع بموارة الجثث التراب ، إضافة إلى تحري الناس الابتعاد عن مخالطة المويوئين وأهلهم خوفاً من انتقال العدوى إليهم [٢] .

**٤- إجراءات أخرى** :

وهناك إجراءات أخرى قام بها الناس كتغير نمط مسكنهم ، وغذائهم ، فنظراً لحدوث الزلازل العنيفة والمتكررة في بلاد الشام ، قام السكان ببناء بيوت من الخشب يقيمون فيها بعد الزلازل ، لكي تكون الأضرار أخف فيما لو تكررت مثل تلك الكوارث [٣] .

وأما تغير نمط الغذاء ، ففي سنة ٧٤٨هـ ( ١٣٤٧م ) عندما يبست أشجار الزيتون ، وجف محصول السمسم ببلاد الشام جراء موجة القحط والجفاف ، وارتفع على أثرها أسعار زيت الزيتون ، حتي بيع رطل الزيت بسبعة دراهم ، بعد أن كان يباع بثلاثة دراهم ، قام السكان بتغيير نمط الطبخ ، ونوع الغذاء ، وذلك باستخدام

---

(١) السلوك ، ٤ / ٨٨ .

(٢) السخاوي : وجيز الكلام ، ٣ / ١٢٣٩ ؛ ابن سباط : صدق الأخبار ، ٣ / ٩٠٥ .

(٣) عبد الله يوسف الغنيم : أسباب الزلازل وأحداثها في التراث العربي ، الحلقة الدراسية العربية الثالثة للعلوم الزلزالية ، مرصد الزلازل الجيوفيزيائي ، جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٨م ، ص٨٤ .

دهون الحيوانات في طهي الطعام كمادة بديلة عن الزيت [١] .

**ثامناً : الإجراءات الدينية :**

كان الناس في بلاد الشام عند حدوث الكوارث الطبيعية يعودون إلى الله – سبحانه وتعالى – ويتقربون إليه بالدعاء والاستغفار ، والصلاة [٢] ، والصيام ، فتخرج فئات منهم إلى الصحراء تدعو الله – سبحانه وتعالى – وتتضرع إليه ، بينما تلزم فئات أخرى المساجد معتكفة فيها بين الدعاء ، والصلاة ، وقراءة القرآن الكريم، وهذه العودة إلى الله تشمل العامة والخاصة من القادة ، والأمراء ، وكان حرصهم على إظهار شعائر الإسلام من تلقاء أنفسهم ، أو بتوجيه من السلطة الحاكمة [٣] . والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها : ما حدث سنة ٦٨٠هـ (١٢٨٢م) عندما أصابت بلاد الشام موجة من القحط والجفاف ، قامت السلطة المملوكية بتوجيه الناس لأداء صلاة الاستسقاء ، فخرج أهل دمشق إلى المصلى ، ونائب السلطنة ، والأمراء ، والجند ، وصلوا صلاة الاستسقاء ، وابتهلوا إلى الله ـ تعالى ـ .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤ / ٣٠٦ ؛ ابن قاضي شهبة : تاريخه ، ١ / ٥٠٨ .

(٢) نص بعض فقهاء المذاهب الإسلامية على مشروعية الصلاة عند حدوث الكوارث ، ففي المذهب الحنفي : تستحب الصلاة في كل فزع ، كالريح الشديدة ، والزلزلة ، والظلمة ، والمطر الدائم لكونه من الأفزاع . وعند الحنابلة : لا يصلى لشيء من ذلك إلا الزلزلة الدائمة ، فيصلي لها كصلاة الكسوف . وقال الشافعية : لا يصلّي لغير الكسوفين صلاة جماعة ، بل يستحب أن يصلّي في بيته ، وأن يتضرع إلى الله بالدعاء عند رؤية هذه الآيات . وقال المالكية : لا يصلَّي لهذه الآيات مطلقاً . وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت : الموسوعة الفقهية الكويتية ، ط١ ، مطابع دار الصفوة ، مصر ، ١٤٠٤هـ – ١٤٢٧هـ / ١٩٨٣م – ٢٠٠٥م ، ٢٨ / ٢٦٢ – ٢٦٣ .

(٣) مبارك الطراونة : الأوبئة والطواعين ، ص٥٧ .

بالدعاء ، وطلب الغيث ، وذلك بعد أن صام كثير من الناس ثلاثة أيام [١] . وتكرر هذا الأمر لما حدث جفاف سنة ٦٩٤ – ٦٩٥هـ ( ١٢٩٥م ) [٢] .

وفي سنة ٧١٩هـ ( ١٣١٩م ) حدث قحط وجفاف في دمشق ، فوجهت السلطة الناس لأداء صلاة الاستسقاء ، ثم شرعوا عقب الصلاة في قراءة صحيح البخاري ، وأكثروا من الدعاء عقب الصلوات ، ونودي في دمشق بالصوم [٣] .

وعندما حدث زلازل في بلاد الشام سنة ٧٤٤هـ ( ١٣٤٣م ) خرج أهالي حلب إلى الصحراء ، ومعهم أطفالهم ، والمصاحف مرفوعة يدعون الله . تعالى . أن يرفع هذا المقت وأقاموا على ذلك أياماً [٤] .

ولما حدث الطاعون سنة ٧٤٩هـ ( ١٣٣٨م ) في بلاد الشام قامت السلطة المملوكية بحث الناس على صيام ثلاثة أيام ، والتضرع إلى الله برفع البلاء ، وقام أئمة المساجد بالقنوت في الصلوات والدعاء [٥] ، وقد سجل "ابن بطوطة" في أثناء مروره بدمشق هذا العام ما شاهد من مظاهر التوبة والرجوع إلى الخالق – سبحانه

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ط٢ ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٢م ، ٤٢/٢.
(٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ٨ /١٩٦ .
(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤ / ١٠٦ .
(٤) المقريزي:السلوك ، ٣ / ٤٠٣ ، ٤٠٤ ؛ ابن قاضي شهبة : تاريخه ، ٢ / ٣٦٠ ، ٣٦١ .
(٥) ابن كثير : مصدر سابق ، ١٤ / ٢٦١ ؛ المقريزي : مصدر سابق ، ٧ / ٣٤٧ ؛ ابن طولون : إعلام الورى ، ص٢٠٣ ؛ مفاكهة الخلان ، ق١ / ٣٧٨ – ٣٧٩ .

وتعالى – عند الدمشقيين في فترة انتشار الوباء فقال [١] : " إن ملك الأمراء نائب السلطان أرغون شاه أمر منادياً ينادي بدمشق أن يصوم الناس ثلاثة أيام ، ويطبخون بالسوق ، فصام الناس ثلاثة أيام متتالية ... ، ثم اجتمع الأمراء والشرفاء ، والقضاة ، والفقهاء ، وسائر الطبقات على اختلافها في الجامع الأموي حتى غصَّ بهم ، وباتوا ليلة الجمعة ما بين مصلٍ وذاكر وداعٍ ، ثم صلوا الصبح ، وخرجوا على أقدامهم ، وبأيديهم المصاحف ، والأمراء حفاة ، وخرج جميع أهل البلد ذكوراً وإناثاً صغاراً وكباراً ، وخرج اليهود بتوارتهم ، والنصارى بأناجيلهم ، ومعهم النساء والولدان ، وجمعيهم باكون متضرعون إلى الله بكتبه وأنبيائه ... " .

ولما حدث الجفاف في بلاد الشام سنة ٧٩٩هـ ( ١٣٩٦م ) التزم الناس المساجد يبكون ، ويتضرعون إلى الله – عز وجل – أن يرفع عنهم البلاد ، وصام الناس ثلاثة أيام متتالية ، وتاب كثير منهم من أفعال المعاصي والذنوب ، وخرجوا للاستسقاء مرات عدة [٢] . وتكرر هذا الأمر أثناء الجفاف الذي أصاب بلاد الشام سنة ٨٧٣هـ ( ١٤٦٨م ) [٣] ، وسنة ٩١٧هـ (١٥١١م ) [٤] .

(١) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، المعروف برحلة ابن بطوطة ، تحقيق: علي المنتصر الكتاني ، ط٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، ١ / ١١٤ .

(٢) ابن صصري : الدرة المضية ، ص٢٢٤-٢٢٦ .

(٣) البصروي : تاريخه ، ص٣٦ ، ٣٧ .

(٤) ابن طولون : مفاكهة الخلان ، ق٢ / ١٦٣ .

**ولما اشتد أمر الطاعون في مدينة دمشق سنة ٩١٩هـ ( ١٥١٣م ) أعلن أهلها التوبة ، وذلك بصيام ثلاثة أيام ، والخروج إلى الصحراء وزيارة المقابر ، وخرج العلماء، والصالحون بالتهليل والتكبير إلى المزة [١] لعل الله يخفف عنهم البلاء [٢] .**

(١) المزة : يونانية الأصل معناها الربوة أو التل ، وهي قرية إلي الجنوب الغربي القريب من مدينة دمشق ، ثم تحولت إلي ضاحية ، بعدها صارت من أحياء المدينة إثر امتداد العمران إليها، وكانت تعرف " بمزة كلب " نسبة إلي قبائل بني كلب اليمانية التي سكنتها ، وعرفت أيضاً بدمشق الجديدة . ياقوت : معجم البلدان ، ٥ / ١٢٢ ؛ ابن طولون : ضرب الحوطة ص١٦٠ ، ١٦١؛ قتيبة الشهابي : معجم دمشق التاريخي ، ٢ / ٢١٧ .

(٢) ابن طولون : إعلام الورى ، ص٢٠٣ .

## الخاتمة

هذا بحثٌ استعرضنا فيه الإجراءات الوقائية التي تم اتخاذها لمواجهة الكوارث الطبيعية في بلاد الشام من قبل السلطة المملوكية وبالتنسيق والتعاون مع سكان البلاد ، وقد وصلنا إلي العديد من النتائج ، أهمها :

١- حرصت السلطة المملوكية علي مكافحة الآفات الزراعية ، ولاسيما هجمات أسراب الجراد التي تسببت في نقص الإنتاج الزراعي ، وارتفاع الأسعار ، وكانت مكافحة الجراد تتم بطريقين إما بقتله عن طريق طير السمرمر ، أو عن طريق الجنود وعامة الناس .

٢- أن توفير المياه من أهم الإجراءات الوقائية التي حرصت الدولة على القيام بها ، لما قد ينشأ من شحُ المياه من أزمات اقتصادية شديدة وأضرار كبيرة على المجتمع ، خاصة أن بعض مدن الشام كانت تعتمد على الأمطار في معيشتها وحتى من يعتمد منهم على مياه الأنهار تعرضوا لأخطار الفيضانات والسيول ؛ فانهارت الجسور وغرقت الأراضي وقلَّ الإنتاج ، وشهد العصر المملوكي جهوداً واضحة في حلّ مشاكل المياه ، عن طريق توصيلها للأماكن التي تقل فيها المياه وإصلاح الجسور التي تقطعت من جراء السيول وأغرقت المزروعات .

٣- قام سكان بلاد الشام المملوكية بمنع الأمراء من استغلال مياه الأنهار والعيون لمصالحهم الشخصية كإجراء وقائي لتوفير المياه في أوقات القحط والجفاف.

٤- لجأت السلطة المملوكية إلي توفير المواد الغذائية بتخزين السلع الضرورية لإعادة استخدامها في أوقات الكوارث ، وتوزيعها علي المناطق المنكوبة ؛ للتخفيف من حدة المجاعة ،قامت بفتح مخازن الغلال وبيعها بأسعار منخفضة ، لمحاربة احتكار التجار لها ، بالاضافة إلى استيراد المواد الغذائية من الخارج .

٥- اتخذت السلطة المملوكية في بلاد الشام العديد من الإجراءات الوقائية الصحية لتفادي وقوع الأوبئة أو للتقليل من آثارها ، فعملت علي نشر التوعية الصحية ، والقيام بحملات التنظيف لمنع انتشار الأوبئة ، كما قامت بإنشاء العديد من البيمارستانات ، وخصصت بعض أقسامها لمداواة المصابين بالأوبئة ، ومعالجتهم وتوفير الأدوية لهم ، كما اهتم سلاطين المماليك بإنشاء البيمارستانات المتنقلة والتي كانت أشبه بالقوافل الطبية في وقتنا الحاضر ، وإرسالها إلي القرى ، والأماكن النائية في أوقات الأوبئة ، وانتشار الأمراض .

٦- عمد الخيرون من الحكام والأثرياء إلى إنشاء مؤسسات خاصة بتغسيل الأموات الفقراء الذين لا يجدون من يتكفل بغسلهم ودفنهم من ريع الوقف المخصص لهذه الحوانيت أو المغاسل .

٧- قامت السلطة المملوكية في بلاد الشام بإصدار عدة مراسيم ( قوانين ) للتخفيف من حدة آثار الكوارث الطبيعية ومنع التدهور الاقتصادي ، فقامت بإبطال العديد من المكوس ، وتعويض المتضررين من الكوارث ، وإغلاق الأسواق في أوقات الكوارث حفاظاً على أرواح الناس ، وإطلاق سراح المساجين .

٨- من الإجراءات الوقائية عند حدوث الكوارث الطبيعية ، هجرة السكان أو هروبهم إلى المناطق الآمنة ، وتركهم أوطانهم المنكوبة ، والرحيل إلى مناطق خالية من العمران كالصحاري لضمان سلامتهم ، أو الهروب إلى المدن التي لم تصبها الكوارث ، وأحياناً يخرجون إلى البلاد القريبة منهم مثل مصر.

٩- تسببت الكوارث الطبيعية في تعطيل حركة المسافرين ، والتجار ، وتوقف حركة الملاحة في الأنهار ، فقامت السلطة المملوكية بحملة واسعة لإزالة مخلفات الكوارث . كما كان النواب في بلاد الشام يقومون بتكليف المختصين بكتابة تقارير عن حجم الأضرار التي خلفتها هذه الكوارث ، لتقدير حاجة المناطق المتضررة للإعمار ، ثم يقومون بإعادة إعمارها.

**١٠- قامت السلطة المملوكية في بلاد الشام ببعض الإجراءات الوقائية التي تحافظ على أمن وسلامة المجتمع أثناء حدوث الكوارث ، وذلك بمحاولة القضاء علي الظواهر السيئة في المجتمع الشامي مثل : التسول ، والسرقة ، وجرائم القتل، والغش ، وغيرها ، وتشددت في معاقبتهم . كما اتخذت إجراءات بإغلاق الأماكن المخصصة لارتكاب كل أنواع الفسوق ، والفجور، وتعطليل بعض مظاهر الاحتفالات الدينية والاجتماعية .**

**١١- حرص العامة والخاصة من القادة ، والأمراء ، عند حدوث الكوارث الطبيعية على إظهار شعائر الإسلام ، والعودة إلى الله – سبحانه وتعالى – والتقرب إليه بالدعاء ، والاستغفار ، والصلاة ، والصيام .**

# المصادر والمراجع

## أولاً : المصادر :

* القرآن الكريم .

*** ابن الأثير : ( مجدي الدين أبو السعادات محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ، ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م ) :**

١ – النهاية في غريب الحديث ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، دار المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

*** الأزدي : ( أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م ):**

٢ – جمهرة اللغة العربية ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، الطبعة الأولي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧م .

*** ابن إياس : ( محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م ) :**

٣ – بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، الطبعة الثالثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢ – ١٩٨٤م.

*** البرزالي : ( علم الدين القاسم بن محمد البرزالي ، ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م ) :**

٤ – المقتفي علي كتاب الروضتين ، المعروف بتاريخ البرزالي ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، الطبعة الأولى ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .

*** البصروي : ( علاء الدين علي بن يوسف ، ت ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م ) :**

٥ – صفحات مجهولة من تاريخ دمشق في عصر المماليك المعروف بتاريخ البصروي ، تحقيق : أكرم حسن العلبي ، الطبعة الأولى ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

*** ابن بطوطة : ( محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ، ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م ):**

٦ – تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، المشهورة برحلة ابن بطوطة ، تحقيق : علي المنتصر الكتاني ، الطبعة الرابعة ، مؤسسة الرسالة ،

بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

* **البغدادي** : (**صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ، ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م**) :

٧- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق : على محمد البجاوي ، الطبعة الأولي ، دار المعرفة ، بيروت ،١٩٥٤م.

* **بيبرس المنصوري** : ( **ركن الدين بيبرس بن عبد الله ، ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م** ):

٨- مختار الأخبار ، تحقيق : عبد الحميد صالح حمدان ، الطبعة الأولى ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٣م .

* **ابن البيطار**: ( **ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م**):

٩- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، الطبعة الأولي ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

* **ابن تغري بردي**:( **جمال الدين أبو المحاسن يوسف ، ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م** ) :

١٠- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق : محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ – ١٩٩٩م .

١١- مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة ، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٧م .

١٢- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دار الكتب المصرية ، ( د . ت ) .

* **ابن الجزري** : ( **شمس الدين أبو عبد الله محمد ، ت ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م** ) :

١٣- تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ،الطبعة الأولى ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

* **ابن حبيب** : ( **الحسن بن عمر بن حبيب ، ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م** ) :

١٤- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، تحقيق : محمد محمد أمين ،

الطبعة الأولى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٦ – ١٩٨٦م.

***ابن حجر**:( **شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م**):

١٥- بذل الماعون في فضل الطاعون ، تحقيق : أبو إبراهيم كيلاني محمد خليفة ، الطبعة الأولى ، دار الكتب الأثرية ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

١٦- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق : محمد عبد المعين ضان ، الطبعة الثانية ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الهند ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

*** الحلبي** :( **محمد راغب بن محمود الطباخ ، ت بعيد ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م** ) :

١٧- إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، المطبعة العلمية ، حلب ، (د.ت).

*** ابن حنبل** : ( **أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م** ) :

١٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وآخرون ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .

*** ابن خلدون** : ( **عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م** ) :

١٩- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تحقيق : خليل شحادة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

*** ابن أبي الدنيا** : ( **أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن عبيد ، ت ٢٨١هـ / ٨٩٤م**) :

٢٠- العقوبات الإلهية للأفراد والجماعات والأمم ، تحقيق : محمد خير رمضان يوسف ، الطبعة الأولى ، دار الصميعي ، الرياض ، دار ابن حزم ، بيروت ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

*** الذهبي** : ( **شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م** ) :

٢١- دول الإسلام ، تحقيق : حسن إسماعيل مروة ، دار صادر ، بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

٢٢- العبر في خبر من غبر ، تحقيق : أبو هاجر محمد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ( د . ت ) .

* **ابن سباط** :( **حمزة بن أحمد بن عمر بن سباط ، ت بعيد ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م** ):

٢٣- صدق الأخبار ، حققه : عمر عبد السلام تدمري ، جروس بروس ، طرابلس ١٩٩٣م .

* **سبط ابن العجمي**:( **موفق الدين أحمد بن إبراهيم ، ت ٨٨٤هـ /١٤٧٩م** ) :

٢٤- كنوز الذهب في تاريخ حلب ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، حلب ، ١٤١٧هـ .

* **السبكي**:( **تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين ، ت ٧٧١هـ /١٣٦٩م**):

٢٥- معيد النعم ومبيد النقم ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .

* **السخاوي** : ( **شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م** ) :

٢٦- التبر المسبوك في ذيل السلوك ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، (د.ت).

٢٧- الذيل التام على دول الإسلام ، تحقيق : حسن إسماعيل مروة ، محمود الأرناؤوط ، الطبعة الأولى ، مكتبة العروبة ، الكويت ، دار ابن العماد ، بيروت ،١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

٢٨- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ( د.ت ) .

٢٩- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام ، تحقيق : بشار عواد معروف، عصام الحرستاني ، أحمد الخطمي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٥م.

* **ابن سينا** : ( **الحسين بن علي ، ت ٤٢٧هـ / ١٠٣٧م** ) :

٣٠- المعادن والآثار العلوية ، تحقيق : عبد الحليم منتصر ، سعيد زايد ، عبد الله إسماعيل ، إبراهيم مدكور ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م .

* **السيوطي** : ( **جلال الدين عبد الرحمن ، ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م** ) :

٣١- كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، تحقيق : محمد كمال عز الدين، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

* **ابن شاهين**:( **زين الدين عبد الباسط بن خليل ، ت ٩٢٠هـ /١٥١٤م** ):

٣٢- نيل الأمل في ذيل الدول ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، الطبعة الأولى ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .

* **الشيرزي**:( **عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله ، ت٥٨٩هـ / ١١٩٣م** ) :

٣٣ – نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق : السيد الباز العريني ، الطبعة الثانية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨١م .

* **صالح بن يحيي** : ( **صالح بن يحيي بن صالح بن الحسين التنوخي ، ت ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م** ) :

٣٤- تاريخ بيروت ، أشرف على تحقيقه : فرنسيس هورس اليسوعي ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٦٩م .

* **ابن صصري** : ( **محمد بن محمد بن أحمد ، توفي بعيد ٨٠١هـ / ١٣٩٨م**):

٣٥- الدرة المضية في أخبار الدولة الظاهرية ، تحقيق : عارف أحمد عبد الغني ، الطبعة الأولي ، دار سعد الدين للطباعة والنشر ، دار كنان للطباعة والنشر، دمشق ، سورية ، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م .

* **الصفدي** : ( **الحسن بن أبي محمد ، ت ٧١٧هـ / ١٣١٧م** ) :

٣٦- نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

* **الصفدي** : ( **صلاح الدين خليل بن أيبك ، ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م** ) :

٣٧ – أعيان العصر وأعوان النصر ، حققه : على أبو زيد ، وآخرون ، الطبعة الأولي ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٨م .

٣٨ – الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .

* **الصفاعي** : ( **فضل الله بن أبي الفخر الصفاعي ، ت ٧٢٥-٧٢٦هـ /١٣٢٥-١٣٢٦م**):

٣٩– تالي كتاب الوفيات ، تحقيق : جاكلين سوبلة ، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٧٤م .

* **ابن الصيرفي** : ( **علي بن داود بن إبراهيم ، ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م** ) :

٤٠– نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، تحقيق : حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٠ – ١٩٩٤م .

* **ابن طولون** : ( **شمس الدين محمد بن علي ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م** ) :

٤١– إعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى ، تحقيق : محمد أحمد دهمان ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م .

٤٢– ضرب الحوطة على جميع الغوطة ، مجلة المجمع العلمي ، دمشق ، مجلد (٢١ ) ، عدد (١٢) ، ١٩٤٦م .

٤٣– القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، تحقيق : محمد أحمد دهمان، مكتب الدراسات الإسلامية ، دمشق ، ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م .

٤٤– مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، وضع حواشيه : خليل المنصور، الطبعة الأولي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .

٤٥– نقد الطالب لزغل المناصب ، حققه : محمد أحمد دهمان ، خالد محمد دهمان ، نزار أباظة ، الطبعة الأولى ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

* **ابن عبد الظاهر**:( **محيى الدين بن عبد الظاهر ، ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م** ):

٤٦- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، نشره : عبد العزيز الخويطر الطبعة الأولي ، الرياض ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .

* **ابن عساكر**:( **أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ، ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م**):

٤٧- تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : عمر غرامه العمري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م .

* **العليمي** : ( **مجير الدين عبد الرحمن بن محمد ، ت ٩٢٧هـ / ١٥٢١م** ):

٤٨- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، تحقيق : عدنان يونس عبد المجيد نباتة ، مكتبة دنديس ، عمان ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

* **الغزي** : ( **كامل بن حسين بن مصطفي ، ت ١٣٥١هـ / ١٩٣٣م** ) :

٤٩- نهر الذهب في تاريخ حلب ، الطبعة الثانية ، دار القلم ، حلب ، ١٤١٩هـ .

* **أبو الفدا**:( **عماد الدين إسماعيل بن محمد ، ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م**):

٥٠- المختصر في أخبار البشر ، علق عليه ووضع حواشيه : محمود جيوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

* **ابن الفرات**:( **ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ، ت ٨٠٧هـ/١٤٠٥م** ):

٥١- تاريخ الدول والملوك ، تحقيق : قسطنطين رزيق ، ونجلاء عز الدين، منشورات الجامعة الأمريكية ، بيروت ، ١٩٣٦ – ١٩٤٢م .

* **ابن قاضى شهبة**:( **تقي الدين أبو بكر بن أحمد الأسدي ، ت ٨٥١هـ/١٤٤٨م**):

٥٢- تاريخ ابن قاضى شهبة ، حققه : عدنان درويش ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ١٩٩٤م .

* **ابن القف**:( **أبي الفرج بن موفق الدين يعقوب ، ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م**):

٥٣- العمدة في الجراحة ، طبعة حيدر أباد ، الدكن ، الهند ، ( د . ت ) .

* **القلقشندي**:( **شهاب الدين أبو العباس أحمد بن على ، ت ٨٢١هـ/١٤١٨م** ):

٥٤- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق : محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٥٥- مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٦٤م .

* **ابن كثير**:( **عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م** ):

٥٦- البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، الطبعة الأولي ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٥٧- تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، الطبعة الثانية ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

* **الماوردي** : ( **أبو الحسن على بن محمد بن حبيب ، ت٤٥٠هـ / ١٠٥٨م** ):

٥٨- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق: أحمد جاد ، دار الحديث، القاهرة ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م .

* **مجاهد** : ( **أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي ، ت ١٠٤هـ /٧٢٣م** ) :

٥٩- تفسير مجاهد ، تحقيق : محمد عبد السلام أبو النيل ، الطبعة الأولي دار الفكر الإسلامي الحديثة ، مصر ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م .

* **المرزوقي** : ( **أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن ، ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م** ):

٦٠- كتاب الأزمنة والأمكنة ، ضبطه وخرج آياته : خليل المنصور ، الطبعة الأولي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

* **مسلم** : ( **أبي الحسن مسلم بن الحجاج ، ت ٢٦١هـ /٨٧٤م** ) :

٦١- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ت).

* **المقريزي** : ( **تقي الدين على بن أحمد ، ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م** ) :

٦٢- إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق : أكرم حلمي فرحات ، الطبعة الأولى ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م .

٦٣- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، حققه : محمود الجليلي، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٢م.

٦٤- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، بغداد ، ١٩٥٥م .

٦٥ – السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، الطبعة الأولي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٣م .

٦٦– المقفى الكبير ، تحقيق : محمد اليعلاوى ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩١م .

* **ابن منظور**: ( **جمال الدين محمد بن مكرم ، ت ٧١١هـ/١٣١١م** ) :

٦٧ – لسان العرب ، الطبعة الثالثة ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

* **النعيمي** :( **عبد القادر بن محمد بن عمر بن يوسف ، ت ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م**):

٦٨- الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م

* **ابن النفيس** :( **علاء الدين علي بن أبي حزم ، ت ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م** ):

٦٩- الموجز في الطب ، تحقيق : عبد الكريم العزباوي ، الطبعة الثانية ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٧م .

* **النووي** : ( **أبو زكريا محيي الدين يحيي ، ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م** ) :

٧٠- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٢هـ .

* **النويري**:( **شهاب الدين بن عبد الوهاب ، ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م** ) :

٧١- نهاية الأرب في فنون الأدب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٢٣ – ١٩٩٤م.

* **ابن الوردي** : ( **زين الدين عمر بن المظفر المعري ، ت ٧٥٠هـ / ١٣٥٨م** ) :

٧٢ – تتمة المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ ابن الوردي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

٧٣- الديوان ، تحقيق : أحمد الهيب ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، الكويت، ١٩٨٦م.

* **ابن الوردي** : (**سراج الدين عمر بن المظفر المعري ، ت ٨٥٢هـ ، وقيل ٨٦١هـ/ ١٤٤٧-١٤٥٧م**):

٧٤- خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق : أنور محمود زناتي ، الطبعة الأولى ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م .

* **اليافعي** :( **أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد ، ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م** ) :

٧٥- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

* **ياقوت**:( **شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي ، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م** ):

٧٦ – معجم البلدان ، الطبعة الثانية ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٥م .

* **اليوسفي** : ( **موسي بن محمد بن يحيي ، ت ٧٥٩هـ / ١٣٥٨م** ) :

٧٧- نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق : أحمد حطيط ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

* **اليونيني** : ( **قطب الدين موسي بن محمد بن أحمد ، ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م** ) :

٧٨- ذيل مرآة الزمان ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

## ثانياً : المراجع العربية :

* **أحمد الشرباصي** ( **دكتور** ) :

١- المعجم الاقتصادي الإسلامي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨١م .

* **أحمد عيسي** ( **بك** ) :

٢- تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، الطبعة الثانية ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

* **أحمد مختار عبد الحميد عمر**( **دكتور** ) :

٣- معجم اللغة العربية المعاصرة ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

* **جودة حسنين جودة ، فتحي محمد أبو عيانة** ( **دكتور** ) :

٤- قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية ، دار المعرفة الجامعية ، (د.ت).

* **راغب السرجاني** ( **دكتور** ) :

٥- روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٠م .

* **زبيدة محمد عطا** ( **دكتورة** ) :

٦- الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين ، دار الأمين ، ١٩٧٧م.

* **سعيد عبد الفتاح عاشور**( **دكتور** ) :

٧- حضارة الإسلام ، الطبعة الثالثة ، المعهد العالي للدراسات العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .

٨- العصر المماليكى في مصر والشام ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٤م.

* صلاح محمد عبد الحميد ( دكتور ) :

٩- سلسلة الكوارث الطبيعية ، الطبعة الأولى ، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٨م .

* عبد العزيز طريح شرف( دكتور ) :

١٠- الجغرافيا المناخية والنباتية ، دار المعرفة الجامعية ، ( د . ت ) .

* عبد المنعم ماجد ( دكتور ) :

١١- نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ، الطبعة الثانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

* عثمان علي محمد عطا ( دكتور ) :

١٢- الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي وأثرها السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .

* قاسم عبده قاسم ( دكتور ) :

١٣- دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي في عصر سلاطين المماليك ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

* قتيبة الشهابي ( دكتور ) :

١٤- معجم دمشق التاريخي للأماكن والأحياء والمشيدات ، ومواقعها وتاريخها كما وردت في نصوص المؤرخين ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩٩م.

* ماهر عبد القادر محمد علي ( دكتور ) :

١٥- مقدمة في تاريخ الطب العربي ، دار العلوم العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٨م.

* **مجمع اللغة العربية** :

١٦- المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، القاهرة ، ( د . ت ) .

* **محمد أحمد دهمان** ( **دكتور** ) :

١٧- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

* **محمد صبري محسوب ، محمد إبراهيم أرباب** ( **دكتور** ) :

١٨- الأخطار والكوارث الطبيعية الحدث والمواجهة معالجة جغرافية ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

* **محمد عثمان الخطيب** ( **دكتور** ) :

١٩- الأوقاف الإسلامية في فلسطين في العصر المملوكي ، دار الكتاب الثقافي ، إربد ، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م .

.* **محمد قنديل البقلي** ( **دكتور** ) :

٢٠- التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ت).

* **محمد كرد علي** ( **دكتور** ) :

٢١- خطط الشام ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النوري ، دمشق ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

* **محمد محمد أمين** ( **دكتور** ) :

٢٢- الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، ١٩٩٨م .

* **مصطفي عبد الكريم الخطيب** ( **دكتور** ) :

٢٣- معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

* **ميخائيل موسي الوف البعلبكي ( دكتور ) :**

٢٤- تاريخ بعلبك ، المطبعة الأدبية ، بيروت ، (د.ت) .

* **وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت :**

٢٥- الموسوعة الفقهية الكويتية ، الطبعة الأولى ، مطابع دار الصفوة ، مصر ، ١٤٠٤هـ – ١٤٢٧هـ / ١٩٨٣م – ٢٠٠٥م .

* **يحيي شامي ( دكتور ) :**

٢٦- موسوعة المدن الإسلامية ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٣م .

* **يوسف الأنصاري ( دكتور ) :**

٢٧- الجغرافية الطبيعية ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

* **يوسف درويش غوانمة ( دكتور ) :**

٢٨- الزلازل في بلاد الشام في العصر المملوكي وأثرها علي المعالم العمرانية ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، ١٩٩٠م .

**ثالثاً : المراجع المترجمة :**

* **آشتور . إلياهو :**

١- التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطي ، ترجمة : عبد الهادي عبلة ، دار قتيبة ، دمشق ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

* **ف . هايد :**

٢- التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ترجمة : أحمد رضا محمد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م .

* **هنتس . فالتر :**

٣- الأوزان والمكاييل الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة : كامل العسلي ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٧٠م .

**رابعاً : الابحاث والرسائل العلمية :**

*** إيمان مصطفي عبد العظيم :**

١- غياب دور رجال الحكم والرعية في مواجهة أزمات وباء الطاعون في مصر زمن سلاطين المماليك – دراسة تحليلية " ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م "، مجلة البحث العلمي في الآداب ( العلوم الإنسانية والاجتماعية ) ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، المجلد (٨) ، العدد (٢١) ، ٢٠٢٠م.

*** شريفة بنت محمد العتيبي :**

٢- رعاية الفئات المحتاجة وآثارها في بلاد الشام خلال العصر المملوكي ( ٦٥٨-٩٢٢هـ/١٢٦٠-١٥١٦م ) دراسة تاريخية حضارية ، رسالة دكتوراه ، جامعة القصيم ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٧م.

*** عبد الله يوسف الغنيم :**

٣- أسباب الزلازل وأحداثها في التراث العربي دراسة جغرافية ، الحلقة الدراسية العربية الثالثة للعلوم الزلزالية ، مرصد الزلازل الجيوفيزيائي ، جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٨م .

*** عبد الودود يوسف :**

٤- جوانب اجتماعية من تاريخ دمشق في القرن الخامس عشر ، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية ، الجامعة الأردنية ، المجلد (٢٣) ، العدد (٢) ، ١٩٧٣م .

*** عصام محمد إبراهيم :**

٥- الكوارث ( المفهوم – التصنيف – الخصائص – الأسباب ) ، طريق الجيزة – الفيوم الصحراوي دراسة تطبيقية ، المؤتمر السنوي العاشر ( إدارة الأزمات والكوارث البيئية في ظل المتغيرات والمستجدات العالمية العصرية ) ، ١-٤ ديسمبر ٢٠٠٥م ، كلية التجارة ، جامعة عين شمس ، القاهرة .

* **مبارك محمد الطراونة :**

٦- الأوبئة ( الطواعين ) وآثارها الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة ( ٧٨٤-٩٢٢هـ/١٣٨٢-١٥١٦م )، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار ، المجلد (٤) ، العدد (٣) ، ٢٠١٠م.

* **منال أحمد إبراهيم أبو زيتون** :

٧- المجاعات في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي ( ٦٤٨-٩٢٢هـ/ ١٢٥٠-١٥١٦م ) ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، ١٩٩٨م .

* **نافذ محمد عبد ربه الشوامرة** :

٨- الكوارث الطبيعية وآثارها في بلاد الشام في العصر المملوكي ( ٦٤٨-٩٢٢هـ /١٢٥٠-١٥١٧م ) ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي ، جامعة الخليل ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م .

* **نجمان ياسين** :

٩- التفكير الاجتماعي والاقتصادي في كتاب ( إغاثة الأمة بكشف الغمة ) للمقريزي ، مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة الموصل ، العدد (٢٢) ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .